تذكير المسلمين بأهمية قضاء الدَّيْن

التوحيد

تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية العدد ٥٣٠ السنة الخامسة والأربعون - صفر ١٤٢٧ هـ
الثمن جنيهان

المعيشة الضنك

الإسلام فى زمن الفتن

ألقاب أهل السنة عند خصومهم من أهل البدع

أعجل الذنوب عقوبة

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس مجلس الإدارة
د.عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د.مرزوق محمد مرزوق

التحرير
٨ شارع قولة عابدين ـ القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ ـ فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦
WWW.ANSARALSONNA.COM

تنويه

إلى الإخوة مشتركي مجلة التوحيد بمصر: برجاء مراجعة مكتب البريد التابع لكم، والاتصال بقسم الاشتراكات في حالة عدم وصول المجلة، والإبلاغ عن اسم مكتب البريد التابع له المشترك؛ للتواصل مع المسئولين في هيئة البريد، وبحث الشكوى؛ لضمان وصول المجلة للمشترك في موعدها

والله الموفق

السلام عليكم

المعيشة الضنك...

في الوقت الذي يشتكي فيه الناس من تدهور كثير من المرافق والبنية التحتية، والذي ينتج عنه معاناة ومشقة على الناس وخطر على حياتهم، إلا أن الأخطر منه والأشد ضررًا، تدهور البنية الأخلاقية، والجوانب الفكرية والاجتماعية، فنحن نرى الجيل يتبع الجيل من سيئ إلى أسوأ، فترى الأفراح ضجيجًا وعجيجًا وأصواتاً مرتفعة تخرق جدران الصخور، ويحدث مثل ذلك في المآتم، حيث إن الصييت يريد أن يصل صوته إلى كل أنحاء المدينة، خاصة إذا وُجد «فرح» في الشارع المجاور للميت، فالغلبة حينها للأعلى صوتًا، عنف بلا حدود!! في الشوارع تجد عنف المركبات ووسائل المواصلات وما تطلقه من صافرات بأعلى الأصوات، وتجد كذلك العنف في التزاحم، كل يريد أن يخترق الزحام وفي غير حقه في الطريق، ولو أدى ذلك إلى زيادة التزاحم وتوقف الحركة، ثم ما يعقب ذلك من سباب وشتائم، وقتال وقتل، عنف في كل اتجاه!! حتى من يسمع مذياعًا أو يرى فيلمًا في بيته لا يروق له إلا أن يُسمِع كل أهالي الحي. أضف إلى ذلك خراب الذمم، وفساد المعاملات بيعًا وشراءً، وضياع الأمانة.

مَنْ المسئول عن هدم وفساد هذه المنظومة جميعًا؟ لا شك أن انتشار الجهل وضياع العلم وغياب قانون الحق وغياب المسئولية أهم أسباب هذا الخلل.

مَنْ الأعلمِ بما يصلح هذا الخلقِ جميعًا؟ إنه خالقهم، من الذي أصلح حكمُهُ أهلَ الأرض جميعًا قرونًا متعاقبة؟ إنه العليم الحكيم: «وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ» (المائدة:٥٠).

التحرير

مفاجأة كبرى

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحتوي على ٤٣ مجلداً
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٣ سنة كاملة

رئيس التحرير:
جمال سعد حاتم

في هذا العدد

افتتاحية العدد: الرئيس العام ٢
منبر الحرمين: د. سعود الشريم ٦
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي ١٠
أعجل الذنوب عقوبة: عبده أحمد الأقرع ١٤
باب السنة: د. مرزوق محمد مرزوق ١٧
درر البحار: علي حشيش ٢١
الأيمان آداب وأحكام: محمد عبد العزيز ٢٣
باب العقيدة: د. عبد الله شاكر ٢٨
دراسات قرآنية: مصطفى البصراتي ٣٢
واحة التوحيد: علاء خضر ٣٦
دراسات شرعية: متولي البراجيلي ٣٨
باب الفقه: د. حمدي طه ٤٢
القصة في كتاب الله: عبد الرزاق السيد عيد ٤٥
باب السيرة: جمال عبد الرحمن ٤٩
تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش ٥٣
قرائن اللغة والنقل والعقل:
د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
الشتاء والدعاء: صلاح عبد الخالق ٦١
أصول مكارم الأخلاق وجوامعها: د. عماد عيسى ٦٥
تذكير المسلمين بأهمية قضاء الدين:
المستشار أحمد السيد علي إبراهيم ٦٩

مدير التحرير الفني:
حسين عطا القراط

سكرتير التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٤٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين ، مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.

٢- في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

٨٥٠ جنيه ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر
و٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن .

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

جماعة أنصار السنة المحمدية

افتتاحية العدد

التذكير بخطورة التكفير

الحلقة الثانية

بقلم/ الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com

الحمد لله الذي جعلنا خير أمة، والصلاة والسلام على من ختم الله به النبوة، وبعدُ:

فقد ذكرت في اللقاء الماضي طرفًا من المسائل المهمة التي تحصّن شباب الأمة من الدعوات التكفيرية المخالفة لمنهج أهل السنة، ووصلاً لما انقطع من حديث في اللقاء الماضي، أقول وبالله التوفيق:

خامسًا: قد يجتمع في الرجل شعب من الإيمان وأخرى من الكفر ولا يخرج بذلك من الإسلام، وهذهِ من المسلمات عند أهل السنة والِجماعة خلافاً للخوارج الذين جعلوا الإيمان شيئًا واحدًا، وقالوا بأنه لا يتجزأ، وإذا ذهب بعضه ذهب كله، وهذا يصادم الأحاديث النبوية المقررة، لتفاضل أهل الإيمان في الأعمال، وقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون في نهر الحيا- أو الحياة- شك مالك، فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل، ألم تروا أنها صفراء ملتوية». (البخاري: ٢٢، ومسلم: ١٨٤).

وهذا يدل على أن الإيمان لا يزول بزوال بعض الأعمال، لأنهم دخلوا النار ثم أخرجوا منها بما معهم من إيمان وأدخلوا الجنة، يقول ابن تيمية رحمه الله: «وتمام هذا أن الإنسان قد يكون فيه شعبة من شعب الإيمان، وشعبة من شعب النفاق، وقد يكون مسلماً وفيه كفر دون الكفر الذي ينقل عن الإسلام بالكلية، كما قال ابن عباس وغيره: كفر دون كفر. وهذا قول عامة السلف، وهو الذي نص عليه أحمد وغيره ممن قال في السارق، والشارب، ونحوهم ممن قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: « إنه ليس بمؤمن » أنه يقال لهم: مسلمون لا مؤمنون، واستدلوا بالقرآن والسنة على نفي اسم الإيمان مِع إثبات اسم الإسلام، وبأن الرجل قد يكون مسلماً ومعه كفر لا ينقل عن الملة، بل كفر دون كفر، كما قال ابن عباس وأصحابه في قوله: «وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ » (المائدة: ٤٤) قالوا: كفر لا ينقل عن الملة، وكفر دون

كفر، وفسق دون فسق، وظلم دون ظلم». (مجموع الفتاوى ٧/٣٥٠، ٣٥١).

ويقرر ابن القيم رحمه الله هذا المعلم الواضح عند أهل السنة فيقول: «وكذلك الكفر ذو أصل وشعب، فكما أن شعب الإيمان إيمان، فشعب الكفر كفر، والحياء شعبة من شعب الإيمان، وقلة الحياء شعبة من شعب الكفر، والصدق شعبة من شعب الإيمان، والكذب شعبة من شعب الكفر، والصلاة والزكاة والحج والصيام من شعب الإيمان وتركها من شعب الكفر، والحكم بما أنزل الله من شعب الإيمان، والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر، والمعاصي كلها من شعب الكفر، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان». (كتاب الصلاة وحكم تاركها ص٣٤).

وهذا يدل بوضوح على أن الشخص الواحد قد تجتمع فيه هذه الخصال غير أن المؤمن إذا قام به شيء من ذلك لا يخرج بهذه المعاصي عن الإيمان، وقد عقد الإمام البخاري رحمه الله بابًا في صحيحه، قال فيه: «باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك، ثم ساق حديث أبي ذر رضي الله عنه وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له لما عيره بأمه: «أعيرته بأمه؟ إنك امروٌ فيك جاهلية». (البخاري: ٢٢)، قال ابن حجر في شرحه: «ذكرت قصة أبي ذر ليستدل بها على أن من بقيت فيه خصلة من خصال الجاهلية سوى الشرك لا يخرج عن الإيمان بها، سواء كانت من الصغائر أم الكبائر». (فتح الباري ١/٨٥).

وعلى ما سبق أقول: إن من قامت به شعبة من شعب الكفر وهو مؤمن فلا يزول عنه الإسلام؛ لأن أصل الإيمان باق عنده مع ما ارتكب من الموبقات، ويقرر ذلك ابنُ القيم فيقول رحمه الله: «وها هنا أصل آخر وهو أنه لا يلزم من قيام شعبة من شعب الإيمان بالعبد أن يسمى مؤمنا وإن كان ما قام به إيمانا، ولا من قيام شعبة من شعب الكفر به أن يسمى كافرا وإن كان ما قام به كفرا، كما أنه لا يلزم من قيام جزء من أجزاء العلم به أن يسمى عالما ولا من معرفة بعض مسائل الفقه والطب أن يسمى فقيهاً ولا طبيبا، ولا يمنع ذلك أن تسمى شعبة الإيمان إيمانًا وشعبة النفاق نفاقا وشعبة الكفر كفرا. وقد يطلق عليه الفعل كقوله: «فمن تركها فقد كفر». «ومن حلف بغير الله فقد كفر»، وقوله: «من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر ومن حلف بغير الله فقد كفر». رواه الحاكم في صحيحه بهذا اللفظ.

”من المسلَّمات عند أهل السنة والجماعة أنه قد يجتمع في الرجل شُعَب من الإيمان وأخرى من الكفر.“

فمن صدر منه خلة من خلال الكفر فلا يستحق اسم كافر على الإطلاق، وكذا يقال لمن ارتكب محرما إنه فعل فسوقا وإنه فسق بذلك المحرم ولا يلزمه اسم فاسق إلا بغلبة ذلك عليه.». (الصلاة وحكم تاركها، ص٩٤).

وأختم هذه النقطة بكلام دقيق للإمام أبي عبد القاسم بن سلام رحمه الله، وهو يدفع كل شبهة ويزيل كل إشكال ذكره بعد سياقه لقول الله تعالى: «وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ » (المائدة:٤٤)، وقوله: « أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ » (المائدة:٥٠): «تأويله عند أهل التفسير أنَّ مَن حكم بغير ما أنزل الله وهو على ملة الإسلام كان بذلك الحكم كأهل الجاهلية، إنما هو أن أهل الجاهلية كذلك كانوا يحكمون.

وهكذا قوله: «ثلاثة من أمر الجاهلية الطعن في الأنساب والنياحة والأنواء». مثله الحديث الذي يروى عن جرير وأبي البختري الطائي: «ثلاثة من سنة الجاهلية: النياحة، وصنعة الطعام، وأن تبيت المرأة في أهل الميت من غيرهم». ليس وجوه هذه الآثار كلها من الذنوب: أن راكبها يكون جاهلاً ولا كافراً ولا منافقاً وهو مؤمن بالله وما جاء من عنده، ومؤد لفرائضه، ولكن معناها أنها تتبين من أفعال الكفار محرمة منهيّ عنها في الكتاب وفي السنة ليتحاماها المسلمون ويتجنَبوها فلا يتشبهوا بشيء من أخلاقهم ولا شرائعهم. ولقد رُوي في بعض الحديث: «إن السواد خضاب الكفار».

فهل يكون لأحد أن يقول إنه يكفر من أجل الخضاب؟!

وكذلك حديثه في المرأة إذا استعطرت ثم مرت بقوم يُوجد ريحُها «أنها زانية» فهل يكون هذا على الزنا الذي تجب فيه الحدود؟ ومثله قوله: «المستبان شيطانان يتهاتران ويتكاذبان». فهل يُفهم أنه أراد الشيطانين الذين هم أولاد إبليس؟! إنما هذا كله على ما أعلمتك من الأفعال والأخلاق والسنن.

وكذلك كل ما كان فيه ذكر كفر أو شرك لأهل القبلة فهو عندنا على هذا، ولا يجب اسم الكفر والشرك الذي تزول به أحكام الإسلام ويلحق صاحبه بردة إلا بكلمة الكفر خاصة دون غيرها وبذلك جاءتَ الآثار مفسرة». (انظر: كتابه الإيمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته ص٩٥-٩٧ ضمن مجموع رسائل بتحقيق الشيخ الألباني).

وبناءً على ما سبق تقريره، فقد ذهب أهل السنة إلى أن للإيمان أصولاً وفروعًا، وأن أصله لا يزول بزوال فرعه، وأنه مركب من شعب وأجزاء، وأن الناس يتفاوتون فيه ومراتبهم مختلفة، فمنهم السابقون والمقتصدون والظالمون لأنفسهم، ويصور ابنِ تيمية رحمه الله مذهبهم في ذلك فيقول: «وَقَالَ الْمُفَسِّرُونَ لِمَذْهَبِهِمْ: إنَّ لَهُ أُصُولاً وَفُرُوعًا وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى أَرْكَانٍ وَوَاجِبَاتٍ - لَيْسَتْ بِأَرْكَانٍ - وَمُسْتَحَبَّاتٍ ؛ بِمَنْزِلَةِ اسْمِ الْحَجِّ وَالصَّلَاةِ وَغَيْرِهِمَا مِنْ الْعِبَادَاتِ ؛ فَإِنَّ اسْمَ الْحَجِّ يَتَنَاوَلُ كُلَّ مَا يُشْرَعُ فِيهِ مِنْ فِعْلٍ وَتَرْكٍ مِثْلِ الْإِحْرَامِ وَتَرْكِ مَحْظُورَاتِهِ وَالْوُقُوفِ بِعَرَفَةَ وَمُزْدَلِفَةَ وَمِنًى، وَالطَّوَافِ بِبَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ وَبَيْنَ الْجَبَلَيْنِ الْمُكْتَنِفَيْنِ بِهِ وَهُمَا الصَّفَا وَالْمَرْوَةُ. ثُمَّ الْحَجُّ مَعَ هَذَا مُشْتَمِلٌ عَلَى أَرْكَانٍ مَتَى تُرِكَتْ لَمْ يَصِحَّ الْحَجُّ كَالْوُقُوفِ بِعَرَفَةَ. وَعَلَى تَرْكِ مَحْظُورٍ مَتَى فَعَلَهُ فَسَدَ الْحَجُّ وَهُوَ الْوَطْءُ وَمُشْتَمِلٌ عَلَى وَاجِبَاتٍ: مِنْ فِعْلٍ وَتَرْكٍ يَأْثَمُ بِتَرْكِهَا عَمْدًا، وَيَجِبُ مَعَ تَرْكِهَا - لِعُذْرٍ أَوْ غَيْرِهِ - الْجُبْرَانُ بِدَمٍ كَالْإِحْرَامِ مِنْ الْمَوَاقِيتِ الْمَكَانِيَّةِ وَالْجَمْعِ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِعَرَفَةَ وَكَرَمْيِ الْجِمَارِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ وَكَتَرْكِ اللِّبَاسِ الْمُعْتَادِ وَالتَّطَيُّبِ وَالصَّيْدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَمُشْتَمِلٌ عَلَى مُسْتَحَبَّاتٍ مِنْ فِعْلٍ وَتَرْكٍ يَكْمُلُ الْحَجُّ بِهَا ؛ فَلَا يَأْثَمُ بِتَرْكِهَا وَلَا يَجِبُ دَمٌ مِثْلَ رَفْعِ الصَّوْتِ بِالْإِهْلَالِ وَالْإِكْثَارِ مِنْهُ.. لَكِنْ مَنْ أَتَى بِالْمُسْتَحَبِّ فَهُوَ أَكْمَلُ مِنْهُ وَأَتَمُّ مِنْهُ حَجًّا وَهُوَ سَابِقٌ مُقَرَّبٌ وَمَنْ تَرَكَ الْمَأْمُورَ وَفَعَلَ الْمَحْظُورَ لَكِنَّهُ أَتَى بِرُكْنِهِ وَتَرَكَ مُفْسِدَهُ فَهُوَ حَاجٌّ حَجًّا نَاقِصًا يُثَابُ عَلَى مَا فَعَلَهُ مِنْ الْحَجِّ وَيُعَاقَبُ عَلَى مَا تَرَكَهُ، وَقَدْ سَقَطَ عَنْهُ أَصْلُ الْفَرْضِ بِذَلِكَ مَعَ عُقُوبَتِهِ عَلَى مَا تَرَكَهُ، وَمَنْ أَخَلَّ بِرُكْنِ الْحَجِّ أَوْ فَعَلَ مُفْسِدَهُ فَحَجُّهُ فَاسِدٌ لَا يَسْقُطُ بِهِ فَرْضٌ؛ بَلْ عَلَيْهِ إعَادَتُهُ... وَالْفُقَهَاءُ يُقَسِّمُونَ الْوُضُوءَ وَالْغُسْلَ إلَى كَامِلٍ وَمُجْزِئٍ ؛ لَكِنْ يُرِيدُونَ بِالْكَامِلِ مَا أَتَى بِمَفْرُوضِهِ وَمَسْنُونِهِ وَبِالْمُجْزِئِ مَا اقْتَصَرَ عَلَى وَاجِبِهِ. فَهَذَا فِي « الْأَعْمَالِ الْمَشْرُوعَةِ ». وَكَذَلِكَ فِي « الْأَعْيَانِ الْمَشْهُودَةِ » فَإِنَّ الشَّجَرَةَ مَثَلًا اسْمٌ لِمَجْمُوعِ الْجِذْعِ وَالْوَرَقِ وَالْأَغْصَانِ وَهِيَ بَعْدَ ذَهَابِ الْوَرَقِ شَجَرَةٌ وَبَعْدَ ذَهَابِ الْأَغْصَانِ شَجَرَةٌ ؛ لَكِنْ كَامِلَةٌ وَنَاقِصَةٌ فَلْيُفْعَلْ مِثْلُ ذَلِكَ فِي مُسَمَّى الْإِيمَانِ وَالدِّينِ». (مجموع الفتاوى ١٢/٤٧٢- ٤٧٤).

> كما أن شُعَب الايمان إيمانٌ فشُعَب الكفر كفرٌ فالحياء من شعب الإيمان وقلته من شُعَب الكفر.

سادساً: التفريق بين التكفير المطلق وتكفير المعين:

التكفير المطلق: هو إطلاق لفظ الكفر على ما ينافي الإسلام ويناقضه، وإطلاق القول كذلك على فاعله، وأما التكفير المعين: فهو إنزال هذه الأحكام وإطلاقها على الفرد أو المجموعة التي قام بها شيء من نواقض الإسلام، ويجب أن يُعلم أن التكفير المطلق والذي يقال فيه مثلاً: من فعل كذا فهو كافر، أو ملعون، أو غير ذلك من ألفاظ عنه لا يستلزم حمله على المعين الذي قام به شيء من ذلك حتى تحقق فيه الشروط وتنتفي الموانع، لا فرق في ذلك بين الأصول والفروع. (مجموع الفتاوى ١٠/٣٧٢).

ومما يؤكد صحة هذا المنهج ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في لعنه لشارب الخمر، ولما لعن شخص معين شارب الخمر أمامه نهى عن لعنه عليه الصلاة والسلام، كما في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان اسمه عبد الله، وكان يلقب حمارًا، وكان يُضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد جلده في الشراب، فأتي به يومًا فأمر به فجُلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تلعنوه، فوالله ما علمت أنه يحب الله ورسوله». وفي رواية أبي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تكونوا عون الشيطان على

أخيكم». (البخاري: ٦٧٨٠، ٦٧٨١).

فالنبي صلى الله عليه وسلم نهى عن لعن هذا المعين مع شربه للخمر، مع إطلاقه لعن شارب الخمر، وما ذاك إلا لما قام به من محبة الله ورسوله، فدل ذلك على أن الإطلاق العام لا يستلزم الإطلاق الخاص، وهذا أمر مطرد في نصوص الوعيد عند أهل السنة والجماعة.

يقول ابن تيمية رحمه الله: «إن التكفير العام كالوعيد العام يجب القول بائتلافه وعمومه، أما الحكم على المعين بأنه كافر، أو مشهود له بالنار، فهذا يقف على الدليل المعين، فإن الحكم يقف على ثبوت شروطه وانتفاء موانعه، ومما ينبغي أن يعلم في هذا الموضع أن الشريعة قد تأمرنا بإقامة الحد على شخص في الدنيا، إما بقتل أو جلد أو غير ذلك، ويكون في الآخرة غير معذب، مثل قتال البغاة والمتأولين مع بقائهم على العدالة، ومثل إقامة الحد على من تاب بعد القدرة عليه توبة صحيحة، فإنا نقيم الحد عليه مع ذلك، كما أقامه النبي صلى الله عليه وسلم على ماعز بن مالك وعلى الغامدية، مع قوله: «لقد تاب توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له»» (مجموع الفتاوى ١٢/٤٩٨).

ويقول ابن أبي العز: «إن الأقوال الباطلة المبتدعة المحرمة المتضمنة نفي ما أثبته الرسول صلى الله عليه وسلم أو إثبات ما نفاه، أو الأمر بما نهى عنه، أو النهي عما أمر به، يقال فيها الحق، ويثبت لها الوعيد الذي دلت عليه النصوص.. وأما أعظم البغي أن يشهد على معين أن الله لا يغفر له ولا يرحمه بل يخلده في النار، فإن هذا حكم الكافر بعد الموت. ولهذا ذكر أبو داود في سننه في كتاب الأدب: « باب النهي عن البغي». وذكر فيه عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين، فكان أحدهما يذنب، والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب، فيقول: أقصر، فوجده يومًا على ذنب، فقال له: أقصر. فقال: خلني وربي، أبعثت علي رقيبًا؟ فقال: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك (الله) الجنة، فقبض أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالمًا؟ أو كنت على ما في يدي قادرًا؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار. وقال أبو هريرة: (والذي نفسي بيده، لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته». (شرح الطحاوية ٢/٤٣٦).

”لم يكّفر الإمام أحمد أعيان الجهمية مع ما لاقاه منهم من أذى وضرب وسجن، بل دعا لهم.“

وقد طبق إمام السلف هذا المنهج، فالإمام أحمد رحمه الله أوذي من الجهمية المعطلة وضرب وسُجن، وكان يطلق القول بتكفير الجهمية، ومع ذلك لم يكفر أعيانهم، بل دعا لهم وللأئمة الذين كانوا يحملونه على القول بخلق القرآن، وفي ذلك يقول ابن تيمية رحمه الله: «ومع أن أحمد لم يكفر أعيان الجهمية، ولا كل من قال «إنه جهمي كفر» ، ولا كل من وافق الجهمية في بعض بدعهم، بل صلى خلف الجهمية الذين دعوا إلى قولهم، وامتحنوا الناس وعاقبوا من لم يوافقهم بالعقوبات الغليظة، لم يكفرهم أحمد وأمثاله، بل كان يعتقد إيمانهم وإمامتهم ويدعو لهم، ويرى الائتمام بهم في الصلوات خلفهم، والحج والغزو معهم، والمنع من الخروج عليهم ما يراه لأمثالهم من الأئمة، وينكر ما أحدثوا من القول الباطل الذي هو كفر عظيم، وإن لم يعلموا أنه كفر، وكان ينكره ويجاهدهم على رده بحسب الإمكان، فيجمع بين طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في إظهار السنة والدين، وإنكار بدع الجهمية الملحدين، وبين رعاية حقوق المؤمنين من الأئمة والأمة، وإن كانوا جهالاً مبتدعين وظلمة فاسقين». (مجموع الفتاوى ٥٠٨،٥٠٧).

قلت: رحم الله هؤلاء الأئمة الأعلام الذين علموا الحق وبه كانوا ينطقون ويعملون، ويا ليت سفهاء الأحلام اليوم يتعلمون منهم فيكفون عن إطلاق ألفاظ التكفير والتبديع دون بينة.

والله الموفق والمستعان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الإسلام في زمن الفتن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله . أما بعد: فيا أيها الناس!!
إن شريعة الإسلام شريعةٌ غراء، سمَتُها الجلي أن يعبد الله وحده في الأرض ولا يشرك به، مُتبعة بقواعد فرضها رب البرية، هي خيرٌ كلها، ونورٌ كلها، وسلامٌ كلها، وفرحٌ كلها، «إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ» (آل عمران:١٩)، «وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ» (آل عمران:٨٥).

إعداد/ د. سعود الشريم

محاسن الدين الإسلامي:

الدين الإسلامي - عباد الله - هو شريعة الله العادلة للعالم أجمع، وما إرساله لخاتم رسله إلا للناس كافةً بشيراً ونذيراً، من أجل أن يدخل الناس في دين الله وصبغته، «صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ» (البقرة:١٣٨).

الدين الإسلامي - عباد الله - هو شريعةٌ مبناها على الاتباع لا الابتداع، وعلى الاقتداء والتأسي لا على النكوص والتنسّي، ودين المرء لن يكون ديناً حقاً إلا إذا كان الخضوع فيه للحق سبحانه دون سواه.

وان خير هدي ينتهجه الناهجون هو هدي رسوله صلى الله عليه وسلم، وهيهات هيهات أن يأتي الناس في أعقاب الزمن بأهدى منهما حتى يلج الجمل في سمّ الخياط، «وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا» (النساء:٨٢)، قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ» (القصص:٤٩).

إنه في أعقاب الزمن - عباد الله -، ووسط عصور الانتقال تتعدد مسالك الحياة، وتتزاحم تداعياتها، هبوطاً وصعوداً، بمدى قرب الناس من دينهم أو بعدهم عنه، ومكان رسالة خاتم النبيين بين ذلك كله أنها دعوة كمال وعدل، فكلما تردد الإنسان عبر هذه العصور التي تُسمى عصور الانفتاح بين طريقين اثنين، أو حارت نفسه في اختيار أحد مسلكين، فإن السنة تدعوه - ولا شك - إلى خيرهما، وإذا تردد العقل في خضم هذه النوازل المدلهمَّة بين الحق والباطل، والزّين والشّين، دعته السنة إلى الحق والزّين ؛ لأن الحق أبلج، والباطل لجلج.

وبهذا يُعلم أن دعوة السنة وسط هذه الزوابع إنما تكون لأصعب الطريقين، وأشق الأمرين بالنسبة لأهواء البشر، المحاطة بعالم أصبح عبر وسائله المختلفة كالكتلة الواحدة، ولا غرو في ذلك فإن النار حُفّت بالشهوات، والجنة حُفّت بالمكاره.

ويبدو ذلك بوضوح في أن الانحدار مع الهوى سهل يسير، ولكن الصعود إلى العلو من الصعوبة والمشقة بمكان، ألا ترون - حماكم الله - أن الماء ينزل وحده حتى يستقرّ في عمق الوادي، ولكنه لا يصعد إلى العلو إلا بالجهد والمضخّات.

أيها المسلمون!! إن البعد عن زمن النبوة مظنة - ولا شك - (للبعد) عن تعاليمها وآدابها، فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» (أخرجه البخاري في الشهادات (٢٦٥٢)، ويقول أيضاً: «إنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً» (أخرجه أبو داود في السنة (٤٦٠٧)، والترمذي في العلم (٢٦٧٦)، وصححه الألباني)، ويقول أيضاً: «لا يأتي على الناس زمان إلا والذي بعده شر منه، حتى تلقوا ربكم» (أخرجه البخاري في الفتن (٧٠٦٨).

وجوب التمسك بالثوابت الشرعية:

ولأجل هذا - عباد الله - فإن الثوابت الشرعية من توحيد الله، والإيمان به، والدعوة إليه، والحب والبغض فيه، قد يذوي

أكثرها أو بعضها مع مرور الزمن، وغلبة الأهواء، وشيوع الهزل، حتى إنها لتحتاج إلى من يردّ لها الحياة بعدما اعتراها ما اعتراها من ذبول، إذ لدينا كتاب الله لا تخلق جلدته، ولا تفنى ثروته، ولدينا نور نبوة مُلهمَ السيرة، نقيَّ السنن.

وإذا كان الأمر كذلك، فكيف تعمى النفس المؤمنة مع هذا الإشعاع؟! بل كيف يستوحش المرء في هذا العالم الموّار، ومصدر الأمن والطمأنينة فوق ظهره محمول؟! شريطة أن لا يغفل عن قوله سبحانه: ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (الأنعام:٨٢).

إنه رغم الدمار البالغ الذي تصاب به المجتمعات حيناً بعد حين، والوكزات التي تتلقاها أمة الإسلام فجأةً، ثم هي تصرع أمامها إثر تقويض الرابطة الإسلامية الجامعة الحقة، وعلى الرغم من المكانة الملحوظة التي وفَرها الإسلام للمجتمعات الإسلامية بأسرها، من خلال تعاليمه المحكمة، وثوابته التي لا تتغير، بل يخضع لها كل عصر، وليست تخضع هي لكل عصر، إنه رِغم ذلك كله إلا أن ثمة خللاً ما، يؤكد أن تلك المجتمعات أحوج ما تكون إلى أن تلتمس لطف الله وعفوه، وترتقب رحمته وإحسانه، وتلزم اللجوء إليه، عاملةً بما دعا به المصطفى: تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (آل عمران:٦٤). فلا إله إلا الله، أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (آل عمران:٨٣).

مصدر عزتنا وسر قوتنا:

إنه ينبغي علينا ـ معاشر المسلمين ـ أن ندعو إلى دين الله جل وعلا، الذي هو مصدر عزتنا، وسر قوتنا، من خلال التحدث عنه على حقيقته وصورته التي ارتضاها الله جل شأنه، دون استحياء ولا تخوف ولا استجداء، مُتّبعين ذلك على أنه دين العبودية لله وحده في كل شيء، والاتباع لرسوله صلى الله عليه وسلم، وحذار حذار من أن يخطئ أحد حال التحدث عنه فيعدل عن الوجه الصحيح.

ثم إن الدعوة إلى الإسلام برمتها أشبه ما تكون بالقضية العادلة، غير أنها ـ وللأسف الشديد ـ قد تقع بين أيدي محامين عنها يفشلون في عرض حقيقة الدفوع، وإيضاح البينات، وما ذلك إلا من خلال التنازل عن ثوابتها وأسسها، بحثاً لعرض أو خوفاً من عرض. ولا غرو في ذلك ـ عباد الله!! فلربما نسمع كثيراً لمتحدثين عن الإسلام يحامون عنه، ويودّ المرء منا لو أنهم سكتوا فلم ينبسوا بحرف واحد. إن أمثال هؤلاء ـ ولا ريب ـ لم يفهموا الإسلام بكماله كما تنزل من عند الله، والنزر اليسير ممن يتحدث عنه، ويدّعي فهمه قد لا يحسنون الإبانة عنه من خلال الخلط والمزج بين ما يصحّ وما لا يصحّ. ومن هنا يعظم الخطر؛ لأننا في أزمنة خداعة، تحتاج إلى المهرة من ذوي الأفهام، عبر عصور يتزين فيها القبيح من المبادئ، فتعرض نفسها على الناس في تزاويق خادعة كما تتوارى الشمطاء وراء حجب من الأصباغ والحلي.

إن الإسلام دواء ، لا يحتمل أن يجتهد فيه كل محتسٍ له، كما أن الدواء لا يكون دواءً لأن مادته تحوي أسباب الشفاء فحسب، كلا، بل لا بد من تناوله بطريقته التي يشير بها الطبيب على الوجه الذي وُضع له الدواء، ومن تكلّف طريقة من عنده لم يقل بها الطبيب، فلا يلومن (أحداً) حينئذ إذا استفحل الداء، ولات ساعة استشفاء، وهيهات هيهات أن تصلح المجتمعات، وقد وهت فيها حبال مقوماته الشرعية الحقة، وأسس الحياة المحكومة بصبغة الله وشرعته دون اكتراث بما يرضي الله وما يسخطه، فكيف إذا كانت الحال إذاً في التشكيك في تلك المقومات، أو السعي الدءوب في إماتتها، أو بث ما من شأنه اتهام المسلمين، أو بذر الفرقة بينهم، أو التطلع إلى إرساء قواعد التراجع عن الدين، أو على أقل تقدير إشعار الغير بأن من يتجرع الإسلام بآدابه وكماله فإنه لا يكاد يسغيها إلا متهوّعاً، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

من خصائص رسالة المصطفى:

أيها المسلمون!! من خصائص رسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه ما من خير إلا ودلَّ الأمة عليه، وما من شر إلا وحذّر الأمة منه، وقد كان مما حذر الأمة منه الفتن التي تكون في آخر الزمان وتكاثرها، والغواسق

التي تحيط بالأمة من كل جانب، فتموج بهم كموج البحر، حتى إنها لتدع الحليم حيران، بل ولربما تستمرئها النفوس الضعيفة، وتستشرف لها رويداً رويداً إلى أن تلغ في حمئها وهي لا تشعر، فإذا ألفتها لم تكد تتحول عنها إلا في صعوبة بالغة بعد أن تفقد خصائصها، ومن ثم تموع وتذوب، ثُمَّتَ ما لجرح بميت إيلام، وإذا لم يغبِّر حائط في وقوعه فليس له بعد الوقوع غُبار، حتى تقع النفس في أتون الفتن فتحترق بلا لهب. ففي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ستكون فتن، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه» الحديث(أخرجه البخاري في الفتن (٧٠٨١)، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: "معنى قوله: «من تشرف لها» أي تطلع لها بأن يتصدى ويتعرض لها، ولا يعرض عنها"(فتح الباري ١٣/ ٣١).

وفي الصحيحين أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يتقارب الزمان، وينقص العمل، ويلقى الشح، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج» قالوا: يا رسول الله، وما الهرج؟ قال: «القتل، القتل» (أخرجه البخاري في الفتن (٧٠٦١).

ما النجاة في خضم هذه الأحداث؟

عباد الله!! إننا في زمن تداعت فيه الفتن كداهية دهياء، فقلّت فيه الأمانة، ونزعت فيه الخشية من الله، وتنافس الناس فيه على الدنيا، وحظوظ النفس، وكثر فيه القتل، وبلغ أوج صوره، على اختلاف تنوعه، حتى لربما لا يدري القاتل فيم قَتَل، ولا المقتول فيم قتل، كما قال ذلك النبي صلى الله عليه وسلم (أخرجه مسلم في الفتن (٢٩٠٨)، ولكن لمستفهم أن يقول: ما النجاة في خضم هذه الأحداث، وما موقف المؤمن من متغيرات زمانه، وفجاءة النقمة فيه؟ فالجواب على هذا بيِّن بحمد الله، فإن لكل داء دواء، علمه من علمه وجهله من جهله، والدواء في مثل هذا كثير التنوع، فمن ذلك: أولاً: حمد الله على العافية مما ابتلى به كثيراً من الناس من الفتن والرزايا، والحروب المدمرة، ثم الصبر على أقدار الله المؤلمة، والإيمان بأن ما يريده الله كائن لا محالة، وأن ما أصاب الناس لم يكن ليخطئهم، وما أخطأهم لم يكنْ ليصيبهم، فما شاءِ الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وَالله يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ (الرعد:٤١).

عند مسلم في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة» (أخرجه مسلم في القدر (٢٦٥٣)، وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ (الأنعام:٥٩).

فلا إله إلا الله ما أوسع علم الله، انظروا إلى الأحداث والمستجدات. عباد الله!! كيف تحل بنا فجأة على حين غِرّة دون أن تقع في ظن أحدنا، أو يدور بخلده أن أحداثا ما ستكون يوما ما، مما يؤكد الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله، واللجوء إليه، وخشيته وحده، بالتوبة والإنابة، وكثرة الدعاء والاستغفار والصدقة، وبذل الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا ملجأ من الله إلا إليه.

ألا إن من خاف البشر فر منهم، غير أن من خاف الله فإنه لا يفر إلا إليه، فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (الذاريات:٥٠).

ولقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يردّ القدر إلا الدعاء» (أخرجه أحمد (٣٧/ ٦٨) (٢٢٣٨٦)، وابن ماجه في المقدمة (٩٠) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٤).

ألا وإن ما يحدث في هذه الأزمنة من كوارث تحل بنا بغتة ليذكرنا باليوم الذي تقوم فيه الساعة، والناس في غفلة معرضون، مع ما يتقدمها من أمارات وأشراط تدلّ عليها، فقد جاء في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يُليط حوضه فلا يسقي منه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها» (أخرجه البخاري في الفتن (٧١٢١)، كل ذلك عباد الله دليل على فجاءة النقمة، وأن نفسا لا تدري ماذا تكسب غدا، ولا تدري بأي أرض تموت.

وجوب الحذر من مشاعر القنوط واليأس:

ثم اعلموا - رحمكم الله - أنه ينبغي للمرء المسلم في خضم الأحداث الرهيبة والتغيرات المتنوعة ألا يصاب بشيء من الاسترسال مع مشاعر القنوط واليأس، وألا

يحبس أنفاسه مع الجانب الذي قد يكلح في وجهه على حين غفلة من جوانب الخير الأخرى في حياته، دون التفات إلى المشوشات من حوله، والتخوفات التي ليس لها ضريب، فليس بلازم عقلاً أن تكون تلك المخاوف صادقة كلها، فلربما كانت كاذبة إذ قد تصح الأجسام بالعلل، وقد يكون مع المحنة منحة، ومع الكرب فرج، فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا (الشرح:٥، ٦). ولن يغلب عسر يُسْرَيْن، إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ (يوسف:٨٧).

يا أيها الناس!! إن مما لا شك فيه أن كثرة الفتن تزلزل كيان الناس، وأن فتيل الحروب إذا اشتعل عسر انطفاؤه، وأن التهويش والتشويش، والقيل والقال، والظن والخرص، لما يزيد الأمر سوءاً وتعقيداً، والنار اشتعالا واضطراما، ولا جرم فإن النار قد تذكى بالعيدان، كما أن في مبدأ الحرب كلام اللسان.

ولقد كان السلف الصالح أحرص الناس على اتقاء الفتن، والنأي بأنفسهم عن أن يقعوا في شَرَكها، بل يستعيذون بالله منها، وكلما لاحت لهم في الأفق فتنة تمثلوا بما رواه البخاري في صحيحه عن خلف بن حوشب أن السلف كانوا يقولون عند الفتن:

الحرب أوّل ما تكون فتية
تسعى بزينتها لكل جهول
حتى إذا اشتعلت وشبَّ ضرامها
ولّت عجوزاً غير ذات حليل
شمطاء يُكره لونها وتغيرت
مكروهة للشم والتقبيل

من أدب الإسلام في الفتن:

ثم اعلموا - أيها المسلمون - أن من أدب الإسلام في الفتن كفّ اللسان وحبسه وعدم الزج به فيما لا يعني، وزمّه عن الفحش والتفحش، أو الوقوع في الظن والخرص، فإن إطلاق اللسان، وسيلان الأقلام، خائضةً في المدلهمات، ولاتّة في المتشابهات، والقضايا المزعجات دون زمام ولا خطام لمن شأنه أن يضعف إيمان المرء المسلم، ويوقعه مواقع الزلل، غير آبه بوصية النبي صلى الله عليه وسلم لعقبة بن عامر حينما سأله: ما النجاة؟ قال: «أملك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك» (رواه الترمذي في الزهد (٢٤٠٦) وهو في السلسلة الصحيحة (٨٩٠، ٨٩١).

إن اللهث وراء كل حدث وخبر باللسان تارة، وبالأقلام أضعافها، في البيت وفي السوق، والمجالس والمنتديات، وعبر شبكات تقنية يكثر فيها اللغط دون تروٍّ أو توثق أو محصِّلة من العلم والفهم لمما يقلل العافية والسلامة من الخطأ، فضلاً عن أن يقدِّم حلا عاجلا سوى الخلط والجهل والتضليل، ولله در أبي حاتم البستي حين قال: "إن العافية عشرة أجزاء، تسعة منها في السكوت"(كشف الخفاء (٨٤/٢)، وهو في ضعيف الجامع (٣٨٣٨)، لأن من الناس من لا يكرم إلا بلسانه، ولا يهان إلا به، فالواجب على العاقل أن لا يكون ممن يهان به.

ثم اعلموا-عباد الله-أن الحوارات الشفهية، والمطارحات الورقية، لا ينبغي أن تكون لكل راكب، ولا علكا يلوكه الكل، وأمور الناس بعامة لا ينبغي أن يتصدى لها أي أحد كيفما اتفق، دون تمييز بين الغث والسمين، وبين ما يعقل وما لا يعقل، وانه لمن المستكره أن يكون مقدار لسان الإنسان أو قلمه فاضلاً على مقدار علمه، ومقدار علمه فاضلاً على مقدار عقله، فلقد روى البخاري في صحيحه عن علي رضي الله عنه أنه قال: (حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟!)(أخرجه البخاري في العلم (١٢٧)، فمن هرف بما لا يعرف فهو ممن قال الله فيهم: قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ (الذاريات:١٠)، قال قتادة - رحمه الله -: "هم أهل الغرة والظنون"(أخرجه ابن جرير عنه في تفسيره (١٩٢/١٣)».

وروى الإمام أحمد وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن أمام الدجال سنون خداعات، يكذَّب فيها الصادق، ويصدَّق فيها الكذوب، ويخوَّن فيها الأمين، ويؤتَمن فيها الخائن، ويتكلم الرويبضة»، قيل: وما الرويبضة؟ قال: «الرجل التافه يتكلم في أمر العامة» (أ خرجه أحمد (٢٥-٢٤/٢١) (١٣٢٩٨)، وقال الحافظ في الفتح(٨٤/١٣): "سنده جيد").

فعلى حملة الأقلام وذوي اللسان أن يتقوا الله سبحانه، وألا يستخفوا بأحد، وأن لا يبغوا على أحد من المسلمين، يقول ابن عبد البر - رحمه الله -: "أحق الناس بالاجلال ثلاثة: العلماء والإخوان والسلطان، فمن استخف بالعلماء أفسد مروءته، ومن استخف بالسلطان أفسد دنياه، والعاقل لا يستخف بأحد"(جامع بيان العلم (٩٩٦).

والحمد لله رب العالمين.

باب التفسير

تفسير سورة الدخان

الحلقة الاولى

قال تعالى: «حمٓ (١) وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ (٢) إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥) رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٦) رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (٧) لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ (٨) بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ (٩) فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ (١٠) يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ» **(الدخان: ١- ١١).**

إعداد/ **د. عبد العظيم بدوي**

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وبعد:

بين يدي السورة:

سورة الدخان سورة مكية، شأنها شأن السور المكية في الاهتمام بترسيخ العقيدة، وبيان أصول الدين وأركان الإيمان.

وقد ركزت على الأصول الثلاثة: التوحيد، والنبوة، والبعث بعد الموت. استفتحت السورة الكريمة بالحديث عن القرآن الكريم، والنبي الأمين، وموقف المشركين منهما.

وثنت بذكر طرفٍ من نبأ موسى وفرعون.

ثم تحدثت عن بعض أشراط الساعة، وأهوال القيامة، وانقسام الناس قسمين: «فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ» (الشورى: ٧).

ووجه تسميتها بالدخان وقوع لفظ الدخان فيها، والمراد به آية من آيات الله، أيد الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم، فلذلك سميت به اهتمامًا بشأنه. (التحرير والتنوير: ٢٥/ ٢٧٥).

ومناسبة هذه السورة لما قبلها أنه ذكر في أواخر ما قبلها: «فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ» (الزخرف:

٨٣)، فذكر يومًا غير معينٍ، ولا موصوفًا، فبين في أوائلِ هذه السورة ذلك اليوم، بوصف وصفه فقال: « فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ » (الدخان:١٠)، وأن العذاب يأتيهم من قبلك، ويحل بهم من الجدب والقحط، ويكون العذاب في الدنيا، وإن كان العذاب في الآخرة، فيكون يومهم الذي يوعدون يوم القيامة. (البحر المحيط في التفسير: ٨/٣٢).

وذكر سبحانه هناك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ » (الزخرف:٨٨)، وهنا نظيره فيما حكي عن أخيه موسى عليهما الصلاة والسلام بقوله تعالى: « فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ » (الدخان:٢٢) وأيضًا ذكر فيما تقدم: « فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ » (الزخرف:٨٩)، وحكى سبحانه عن موسى عليه السلام «وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ⑳ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِي فَٱعْتَزِلُونِ » (الدخان:٢١)، وهو قريبٌ من قريب.

وهي إحدى النظَائر التي كان يصلي بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أخرج أبو داود عن علقمة والأسود قالا: أتى ابن مسعود رجلٌ فقال: إني أقرأ المفصل في ركعةٍ. فقال أهذا كهذ الشعر، ونثرًا كنثر الدقل؟! لكن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ النظائر، السورتين في ركعة: الرحمن والنجم في ركعة، واقتربت والحاقة في ركعة، والطور والذاريات في ركعة، وإذا وقعت ون في ركعة، وسأل سائل والنازعات في ركعة، وويلٌ للمطففين وعبس في ركعة، والمدثر والمزمل في ركعة، وهل أتى ولا أقسم بيوم القيامة في ركعة. وعم يتساءلون والمرسلات في ركعة، والدخان وإذا الشمس كورت في ركعةٍ. (صحيح البخاري ٧٧٥).

متى ابتدئ
نزول القرآن الكريم؟

«حمٓ ① وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ② إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ③ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ④ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ⑤ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ⑥ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ⑦ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ⑧ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ » (الدخان:٩):

يقسم الله سبحانه وتعالى بالقرآن على القرآن فيقول: « وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ② إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ » (الدخان:٣):

والكتاب المبين هو القرآن الكريم، فهو بينٌ في نفسه، ومبينٌ للناس ما يحتاجون إليه في دينهم ودنياهم وآخرتهم، كما قال تعالى:

« شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ » (البقرة:١٨٥)، وقال تعالى: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ » (النحل:٨٩).

« إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ » (الدخان:٣) وهي ليلة القدر، كما قال تعالى: «إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ » (القدر:١)، وهي في شهر رمضان، كما قال تعالى: « شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ » (البقرة:١٨٥)، وهي إحدى ليال الوتر من العشر الأواخر من رمضان، كما في الحديث:

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «التمسوها في العشر الأواخر - يعني ليلة القدر-، فإن ضعف أحدكم أو عجز فلا يغلبن على السبع البواقي». (صحيح البخاري ٢٠١٥).

وعن سالم عن أبيه رضي الله عنه قال: رأى رجلٌ أن ليلة القدر ليلة سبع وعشرين. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أرى رؤياكم في العشر الأواخر، فاطلبوها في الوتر منها». (صحيح مسلم ١١٦٥)، والمراد بتنزيله في تلك الليلة ابتداء تنزيله، فقد نزل مفرقًا على مدار ثلاثٍ وعشرين سنةً، وكان أول ما نزل:

«ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ② ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ③ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ④ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » (العلق:٥).

ولو لم يكن من بركات هذه الليلة سوى تنزيل القرآن فيها لكفاها بركةً، لأن الله تعالى وصف هذا الكتاب الذي أنزل فيها بالبركة، فقال تعالى: « كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ » (ص:٢٩).

ومن بركاتها أن الله أفرد لها سورةً في هذا الكتاب، سماها سورة القدر، وفيها صرح ربنا سبحانه وتعالى ببركاتها، فقال: «إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ① وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ② لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ③ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ④ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ» (القدر:٥).

«إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ »(الدخان:٣):

الإنذار هو الإعلام المصحوب بالتخويف، لما كان من رحمة الله بعباده أن لا يعذبهم حتى ينذرهم، كما قال تعالى: «وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا » (الإسراء:١٥)، فقد أنزل هذا الكتاب «لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ② مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ③ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ④ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِـَٔابَآئِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا »

(الكهف:٥)، ولم يذكر الله سبحانه التبشير في الدخان لأن الناس في أول الأمر كان أكثرهم مشركين، فكان الإنذار هو المناسب لهم « فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ » (الدخان:٤) أي: في تلك الليلة المباركة، التي أنزل فيها القرآن الكريم « يُفْرَقُ » (الدخان:٤) أي يقضي ويفصل « كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ » (الدخان:٤) أي محكم، أو ذي حكمة، فيأذن الله تعالى للملائكة في النظر في اللوح المحفوظ، ونسخ المقادير التي كتب الله أن تكون في هذا العام، من الآجال والأرزاق، والنكاح والطلاق، والصحة والمرض، والغنى والفقر، والتولية والعزل، والسلم والحرب، والفرح والحزن، والعافية والبلاء، ينسخون كل ذلك من اللوح المحفوظ، ثم ينفذونه في الناس وفق ما قدر الله.

ومن التأويلات الخاطئة تأويل تلك الليلة بأنها ليلة النصف من شعبان، ولذلك حرص الناس على إحياء تلك الليلة، وخصوها بدعاء، سموه دعاء ليلة النصف من شعبان، وفيه: اللهم إن كنت كتبتني عندك في السعداء فثبتني، وإن كنت كتبتني في الأشقياء فامح اسمي من ديوان الأشقياء، واكتبه في ديوان السعداء. لاعتقادهم أن الليلة التي « فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ » (الدخان:٤) هي ليلة النصف من شعبان، وهذا خطأ، لأن الله صرح بأن تلك الليلة هي التي أنزل فيها القرآن، وهي ليلة القدر « أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا » (الدخان:٥) نصب على الاختصاص، أي أعني بهذا الأمر أمرًا حاصلًا من عندنا، على مقتضى حكمتنا، وهو بيانٌ لفخامته الإضافية، بعد بيان فخامته الذاتية، ويجوز كونه حالًا من « كُلُّ أَمْرٍ » (الدخان:٤)، لتخصيصه بالوصف، أو من ضميره في « حَكِيم » (الدخان:٤). (إرشاد العقل السليم (٦/٤٧و٤٨)).

« إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ » (الدخان:٥) « رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ » (النساء:١٦٥)، وهذا من رحمة الله بعباده، ولذلك قال: « رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ » (الإسراء:٢٨) يعني أن إرسال الرسل، وانزال الكتب من رحمة الله بعباده، لأن الناس قبل الرسل يكونون في ضلال مبين، مشرفين على الهلاك، فإذا جاءتهم رسلهم بالبينات فاتبعوهم فقد اهتدوا بعد ضلالة، ونجوا من النار بعد إشرافهم عليها، قال تعالى: « لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ » (آل عمران:١٦٤)، وقال تعالى: « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » (آل عمران:١٠٣).

«إنه هو السميع» لأقوال عباده، «العليم» بأحوالهم ونياتهم وضمائرهم، وما انطوت عليه قلوبهم، وقد سمع الله منهم الأقوال الباطلة، وعلم من قلوبهم العقائد الفاسدة، فرحمهم، فأرسل إليهم الرسل ليهدوهم سواء السبيل، كما قال تعالى: « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ » (الأنبياء:١٠٧).

« رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا » (الشعراء:٢٤): قرئت «رب» بالكسر، على أنها بدلٌ من «ربِّك»، وقرئت بالرفع، على أنها بدل من «السميع العليم»، وجملة «إن كنتم موقنين» جملةٌ شرطية، جوابها محذوف، متعلقٌ بما بعدها، وتقدير الكلام: إن كنتم موقنين بأن الله هو رب السموات والأرض وما بينهما فاعلموا أنه «لا إله إلا هو» أي لا معبود بحقٍ غيره، وذلك أنهم كانوا مقرين بتوحيد الربوبية، منكرين لتوحيد الألوهية، كما قال الله تعالى: « وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ » (الزخرف:٨٧)، وقال تعالى: « وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ » (العنكبوت:٦١)، فإذا قيل لهم: لا إله إلا الله، قالوا: أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون.

توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية:

فالله تعالى يلزمهم بتوحيد الألوهية بإقرارهم بتوحيد الربوبية، وهذا كثيرٌ في القرآن، كما قال تعالى: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ » (البقرة:٢٢)، وقال تعالى: « قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ » (يونس:٣٢).

فالخالق الرازق، المعطي المانع، المحيي المميت، هو الذي يجب أن يفرد بالعبادة دون من لا يملك من ذلك شيئًا، ولذلك قال تعالى: « اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ » (الروم:٤٠)، وقال تعالى: « وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ » (النحل:٧٣) وقال تعالى: « أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ » (الأعراف:١٩٢).

ومن خصائص الإله الحق الإحياء والإماتة، ولذلك قال تعالى: « لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ » (الأعراف:١٥٨)، فالإحياء والإماتة من خصائص الإله الحق، ولذلك لما تبرأ إبراهيم عليه السلام من أبيه وقومه: « قَالَ

أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ» (الشعراء:٨١)، ولما حاج النمرود قال كما قال الله تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ» (البقرة:٢٥٨).

«رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ» (الشعراء:٢٦) فادعوه مخلصين له الدين.

فلما قرر تعالى ربوبيته وألوهيته، بما يوجب العلم التام ويدفع الشك، أخبر أن الكافرين مع هذا البيان «فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ» (الدخان:٩) أي: منغمرون في الشكوك والشبهات، غافلون عما خلقوا له، قد اشتغلوا باللعب الباطل، الذي لا يجدي عليهم إلا الضرر. (تيسير الكريم الرحمن (٥/٧)).

من علامات الساعة:

ثم قال تعالى: «فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ» (الدخان:١٦):

اختلف السلف في هذا الدخان الذي أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بانتظاره، وأن الناس إذا غشيهم دعوا الله مخلصين له الدين: «رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ» (الدخان:١٢)، وأن هذا الدعاء لا يسمع، وهذا التضرع لا ينفع، كما قال تعالى: «فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ» (غافر:٨٥):

فذهب ابن مسعود رضي الله عنه إلى أن المراد بهذا الدخان دخانٌ خيل للناس في سني الجدب والقحط الذي أصابهم بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم عليهم حين استعصوا عليه:

عن مسروق قال: كنا عند عبد الله فقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى من الناس إدبارًا قال: «اللهم سبعٌ كسبع يوسف». فأخذتهم سنةٌ حصت كل شيء حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف، وينظر أحدهم إلى السماء فيرى الدخان من الجوع، فأتاه أبو سفيان فقال: يا محمد! إنك تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا، فادع الله لهم. قال الله تعالى: «فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ» (الدخان:١٠) إلى قوله: «إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ» (الدخان:١٦). فالبطشة يوم بدر، وقد مضت الدخان والبطشة واللزام وآية الروم. (صحيح البخاري ٤٧٧٤).

وذهب ابن عباس رضي الله عنه إلى أن الدخان علامةٌ من علامات الساعة الكبرى، لما يظهر بعد.

ومن المفسرين من وافق ابن مسعود، ومنهم من وافق ابن عباس، ومنهم من جمع بين القولين، فقال: الدخان الذي أراده ابن مسعود خيل إليهم، والذي أراده ابن عباس سوف يأتيهم قبل يوم القيامة، ولا تعارض بين القولين.

وذهب شيخ المفسرين ابن جرير الطبري إلى ما ذهب إليه ابن مسعود، وعلق القول على ما قال ابن عباس بصحة الحديث، قال: فإن صح الحديث فإن القول قوله، فإنه لا أحد أعلم بالله من رسول الله. (جامع البيان(١١٤/٢٥)).

قلت: وقد صح الحديث، فقد روى مسلمٌ في صحيحه: عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال: «ما تذاكرون»؟ قالوا نذكر الساعة. قال: «إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات». فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسفٌ بالمشرق، وخسفٌ بالمغرب، وخسفٌ بجزيرة العرب، وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم. (صحيح مسلم ٢٩٤٧).

فالراجح أن الدخان علامةٌ من علامات الساعة الكبرى. والدليل على رجحان هذا القول من الآيات نفسها، حيث قال تعالى: «فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ» (الدخان:١٠) أي بين ظاهر واضح، لا خيالاً، والدخان الذي أصابهم في سني الجدب كان خيالاً لا حقيقة.

وقوله تعالى: «يَغْشَى ٱلنَّاسَ» (الدخان:١١) أي كلهم، فيملأ فاه الكافر ومنخره، فيحمر، حتى يكون كالشاة المشوية على الجمر، وأما المؤمن فلا يصيبه منه إلا كهيئة الزكام. فإذا غشيهم قالوا: «هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ» (الدخان:١١)، أو قيل لهم تقريعًا وتأنيبًا وتوبيخًا، كما يقال لهم وهم يساقون إلى النار: «هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» (الطور:١٦).

وللحديث بقية إن شاء الله.

أعجل الذنوب عقوبةً

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وبعد:

فإن صلاح الأسرة طريقُ أمان الجماعة، وصلة الرحم سبيل حفظ الأمة، لذا كثرت الوصايا القرآنية، وكذلك الأحاديث النبوية بالحث على صلة الرحم.

إعداد/ **عبده أحمد الأقرع**

قال الله تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ» (النحل:٩٠).

وقال تعالى: «وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ» (الأحزاب:٦).

واقترن حق الله، وحق الوالدين وحق الأقربين في أكثر من آية ووصية، قال الله تعالى: «وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ» (النساء:٣٦).

وقال تعالى: «وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا» (الإسراء:٢٢-٢٦).

وفي مقام آخر قُرنت الرحم بحقِّ الله في التقوى، قال الله تعالى: «وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ» (النساء:١). أي: اتقوها أن تقطعوها، واعرفوا حقَّها أن تهضموها، فأسرة الإنسان وقرابته هم عدته وسنده، وهم أصله وقوته، لذا فإنه حين قلَّتْ عشيرةُ نبيِّ الله لوط عليه السلام وضعف ركن قرابته أعذر نفسه بقوله: «لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ» (هود:٨٠).

ومن بعد لوط قال قوم شعيب لشعيب عليه السلام: «وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ» (هود:٩١).

وقد قال علي رضي الله عنه: عشيرتك هم جناحك الذين بهم تُحلِّقُ، وأصلك الذي به تتعلق، ويدك التي بها تصول، ولسانك الذي به تقول، هم العدة عند الشدة، أكرم كريمهم، وعُد سقيمهم، ويسر على معسرهم، ولا يكن أهلك أشقى الخلق بك، بصلة الرحم تقوى المودة وتزيد المحبة وتشتد عرى القرابة وتضمحل البغضاء.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأثر». (صحيح الجامع: ٩٦٥).

بركة صلة الرحم

بصلة الرحم تزيد الأعمار، وتعمر الديار وتبارك الأرزاق، وتستجلب السعادة، وتتقى مصارع السوء.

عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أحب أن يُبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمه». (متفق عليه).

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: «إنه من أعطي حظه

من الرفق، فقد أُعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم وحسن الجوار- أو حسن الخلق- يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار». (صحيح الترغيب: ٢٥٢٤).

شؤم قطيعة الرحم

وفي المقابل فإن قطيعة الرحم شؤم وخراب، وسبب للعنة وعمى البصر والبصيرة، قال الله تعالى: « فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ » (محمد: ٢٢، ٢٣).

وقال الله تعالى: «وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ» (الرعد: ٢٥).

كما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تقطيع الأرحام من أعظم كبائر الذنوب، وعقوبتها معجلة في الدنيا قبل الآخرة.

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من ذنب أجدر أن يعجل لصاحبه العقوبة في الدنيا- مع ما يدخر له في الآخرة- من البغي وقطيعة الرحم». (صحيح الجامع: ٢٧٠٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن أعمال بني آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة، فلا يقبل عمل قاطع رحم». (صحيح الترغيب: ٢٥٣٨).

> ”بيَّن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تقطيع الأرحام من أعظم كبائر الذنوب، وعقوبتها معجلة في الدنيا قبل الآخرة.“

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله». (متفق عليه).

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قال الله عز وجل: أنا الله، وأنا الرحمن، خلقت الرحم، وشققت لها اسمًا من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته». أو قال: «بتته». (صحيح الترغيب: ٢٥٢٨).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إنَّ الله خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إذَا فَرَغَ منْ خَلْقه قَالَتْ الرَّحِمُ: هَذَا مَقَامُ الْعَائذ بكَ منْ الْقَطيعَة قَالَ: نَعَمْ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصلَ مَنْ وَصَلَك وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَك قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ قَالَ: فَهُوَ لَكِ. قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: فَاقْرَءُوا إنْ شئْتُمْ: « فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ » (محمد: ٢٣). (متفق عليه).

وعنه رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الرحم شجنة من الرحمن تقول يا رب إني قطعت يا رب إني أسيء إلي يا رب إني ظلمت يا رب فيجيبها ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك». (صحيح الترغيب: ٢٥٣٠). ومعنى «شجنة» أي: قرابة مشتبكة كاشتباك العروق.

فقه صلة الرحم

ومن ثمَّ فإن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أن تصلهم وإن جفوا، وتحلم عليهم وإن جهلوا، وتحسن إليهم ولو أساؤوا.

فإن مقابلة الإحسان بالإحسان مكافأةٌ، ولكن الصلة الواصلة: «من إذا قطعت رحمه وصلها»، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ الوَاصِلُ بالْمُكَافئ، وَلَكن الوَاصلُ الَّذي إذَا قُطعَتْ رَحمُهُ وَصَلَهَا». (البخاري: ٥٩٩١).

وعَن أَبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ الله إنَّ لي قَرَابَةً أَصلُهُمْ وَيَقْطَعُوني وَأُحْسنُ إلَيْهِمْ وَيُسيئُونَ إلَيَّ وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ فَقَالَ

لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ (صحيح مسلم: ٢٥٥٨).

معنى: «الملل» هو الرماد الحار، أي: كأنما تطعمهم الرماد الحار وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم بما يلحق آكل الرماد من الألم، ولا شيء على المحسن إليهم، لكن ينالهم إثم عظيم بتقصيرهم في حقه، وإدخالهم الأذى عليه، والله أعلم.

وكما قيل: لا تقطع القريب وإن أساء، فإن المرء لا يأكل لحمه لو جاع.

فالنفس الرحيمة الواصلة، الكريمة الباذلة، يورث الله لها ذكرًا حسنًا في الحياة وبعد الممات، الألسنُ تلهج بالثناء والأيدي تمتدُّ بالدعاء، تعيش بين الناس بذكرها وذكراها أمدًا طويلاً، يبارك لها في الحياة فتكون حافلة بجليل الأعمال وجميل الفعال وعظيم المنجزات وكثرة الآثار، ومن وصل أقاربه أحبه الله وأحبه الناس.

فاعلم أن من حق أهلك وأرحامك أن تعود مريضهم، وتواسي فقيرهم، وتتفقد محتاجهم، وترحم صغيرهم، وتكفل يتيمهم، وتوقر كبيرهم، وتلين لهم في القول، وتحسن لهم في المعاملة، وأن تغفر الهفوة، وتستر الزلة، ويزداد الإحسان، ويعظم الفضل وتسمو النفس حين تحسن الظن بهم، وتحمل أخطاءهم على المحمل الحسن.

مقتضيات الصلة

حكي عن بنت عبد الله بن مطيع أنها قالت لزوجها طلحة بن عبدالرحمن بن عوف أجود قريش في زمانه، فقالت له امرأته يوماً: ما رأيت قوما أشد لؤماً من إخوانك..!!

قال: ولم ذلك..؟ قالت: أراهم إذا اغتنيت لزموك. وإذا افتقرت تركوك، فقال لها: هذا والله من كرم أخلاقهم. يأتوننا في حال قدرتنا على إكرامهم. ويتركوننا في حال عجزنا عن القيام بحقهم.

فانظروا كيف تأول بكرمه هذا التأويل، وفسر بنبيل أخلاقه هذا التفسير، حتى جعل قبيح فعلهم حسناً، وظاهر غدرهم وفاء.

وهذا محض الكرم ولباب الفضل، وبمثل هذا يلزم ذوي الفضل أن يتأولوا الهفوات، ويمحوا الزلات من إخوانهم وأرحامهم وأصهارهم.

أين هذا من أناس ماتت عواطفهم، وغلب عليهم لؤمهم؟ فلا يلتفت إلى أهل، ولا يسأل عن قريب، ولا يود عشيرة، إن قربوا أقصاهم، وإن بعدوا تناساهم، بل يبلغ به اللؤم أن يقرب أصحابه وزملاءه، ويجفوا أهله وأقرباءه، يحسن للأبعدين، ويتنكر للأقربين، بطون ذوي رحمه جائعة، وأمواله في الأصدقاء والصحاب ضائعة. تراه يحاسب لهفوة صغيرة، ويقطع رحمه لزلة عابرة، إما بسبب كلمة سمعها، أو وشاية صدقها، أو حركة أساء تفسيرها.

من لم يصل رحمه ويتعاهد بخيره أقاربه فلا خير فيه ولا نفع منه. «إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ» (الرعد: ١٩-٢٤).

وحسب الواصل نعت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم: «كَلا أَبْشِرْ فَوَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا فَوَاللهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ». (متفق عليه).

صلة كريمة تحوطها السماحة، ويظللها الحلم، ويحيط بها العفو، ويحكمها ضبط النفس، ولا يعين على هذه الخصال إلا الاستعانة بالصبر.

فالصبر عنهم ونسيان معايبهم، وإن لم يعتذروا؛ من كرم النفس، وعلو الهمة، ومن أخلاق أهل الفضل، فالزم جانب العفو، ودع الخصام، فإن معاداة الأقارب شر وبلاء، الرابح فيها خاسر، والمنتصر مهزوم، وكل رحم آتية يوم القيامة أمام صاحبها تشهد له بصلة إن كان وصلها وتشهد عليه بقطيعة إن كان قطعها.

اللهم اجعلنا من الواصلين لأرحامهم، العافين عن زلاتهم.

باب السنة

أيهما خير؟ العزلة أم الخلطة؟

الحلقة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد:

ففي لقائنا هذا نتناول بعض الأفكار التي قد يُلَبِّس بها البعض على الناس في شأن هذه القضية.

لقد تكلمنا في اللقاء الماضي في شهر الله المحرم عن شرح حديث أَبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضى الله عنه الذي قَالَ فيه:

إعداد/ **د. مرزوق محمد مرزوق**

«جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه، أَيُّ النَّاس خَيْرٌ؟ قَالَ: رَجُلٌ جَاهَدَ بِنَفْسه وَمَاله، وَرَجُلٌ في شِعْبٍ مِنْ الشِّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّه».

وتناولنا فيه تخريج الحديث من الكتب الستة، ثم تناولنا بعضًا من المواقف التربوية مما رواه الإمام الذهبي في ترجمته للإمام الزهري مما يدل على إمامة الزهري وصدقه وتثبته، وقوته في الحق وعدم مداهنته، وكان في ذلك بعض رد على من اتهم كذبًا الإمام الزهري أنه واضع للسنة مؤلف لها، ولم يكن ذلك إلا لأنه أول مَن دوَّنها.

كما تناولنا باختصار شديد جواب أهل العلم عن أيهما أفضل العزلة أم الاختلاط؟

وفي لقائنا هذا نتناول ما أنكره بعض الناس من طرح هذه القضية بالمرة بل وأنكروها قائلين: وهل السنة والدين يدعوان الناس إلى الانطواء وكراهية الآخرين؟ وقالوا حتى لو صح هذا الطرح أهذا وقته؟ والأمة ممزقة ومفككة تحتاج معالجة ما هو أهم من ذلك بكثير فلا تضيعوا أوقاتنا.

ولسان حالهم ومقالهم أن المردود عقلاً لايصح نقلاً

ونقول في مثل هذا: إن هذه دعوى قديمة في معناها، حديثة متغيرة في مبناها ومقتضاها بتغير أحوال الناس وادعاءاتهم وثقافاتهم، وعمومًا هي كما يقولون: (شنشنة نعرفها من أخزم)، وهي مسألة متفرعة على مسألة إنكار النصوص بالاحتجاج بالعقل، والجواب عليها يحتاج إلى مساحة كبيرة ،لكننا، واختصارًا للوقت ،نقول: لا يتعارض نقل صحيح صريح مع عقل وفهم صحيح أبدًا، هذه واحدة فطالما صح النقل في مسألة ما فلا يجوز إنكارها ويكون المعول والاجتهاد

فقط على كيفية فهمها، والمسلم يسلم نفسه لله، ويدعو أن يرزقه الله الفهم، فإن رزقه فالحمد لله وإلا فهو مُطالَب بالتسليم ابتداء، وهل بعدما ذكرنا من صريح صحيح السنة نحتاج إلى مناقشة إثبات مسألة بسيطة كهذه؟! إنها قضية مجمع عليها في شرعنا وشرع من قبلنا أشار إليها القرآن في غير ما موضع هل بعد هذا كله ينكره من ينكره؟! فيا عجبًا من زمن تنكر فيه البدهيات! وهل عدم فهم السنة يستدعي إنكارها أم يتوجب تعلمها؟!

إلى أي عقل نحتكم؟!

إننا لو اتبعنا هذا المنهج من الوقوف أمام كل قضية متحاكمين إلى أصل سميناه: تحكيم العقل لن ننتهي بل وسنصل في النهاية إلى أحكام مختلفة بحكم درجات الأفهام والعقول المختلفة والسؤال المحير: إلى أيّ عقل نحتكم؟ ومن الذي سيرضى بحكم عقل الآخر؟! إننا لا ننكر تحكيم العقل في النصوص، ولكننا نريد أن نتفق على عقل واحد؛ لأن كل واحد لن يتنازل للآخر لعلمه يقينًا – وهو محق – أنه ليس أحد معصومًا، إذن لن نصل إلا إلى نتيجة حتمية وهي: أننا نتفق على عقل النبي صلى الله عليه وسلم فهو الذي ارتضاه رب العباد ناقلاً مبلغًا للشرع نصًا وفهمًا، وهذه قضية بحثها الأئمة من قديم وأفاضوا في بحثها والجواب عنها، وأحيلك لمزيد من البحث والفهم في هذا على مثل كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية: (درء تعارض العقل والنقل).

ومن النصوص في ذلك ما قد قرأت من حديث الباب وغيره وقبلها من إشارة القرآن في كثير من آياته كما قال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: «وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا» (مريم: ٤٨، ٤٩)، وبحديث عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله: ما النجاة؟ قال: «أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك». (سنن الترمذي وحسنه الألباني في الصحيحة رقم ٨٨٨).

ولقد جاء في العزلة خبر من قبلنا وبقي منها بقايا في شرعنا، وجاءت بها نصوص وآثار، وجاءت بضدها نصوص أيضًا وآثار، فكان أن تنازعهما طرفان من أهل العلم- رحمهم الله-، فبين مستحب لها على المخالطة، وبين مستحب للمخالطة على العزلة، والأمر فيه تفصيل.

هذا ولردنا على قولهم: «وحتى لو صح هذا الطرح أهذا وقته؟ والأمة متشرذمة مفككة تحتاج معالجة ما هو أهم من ذلك بكثير فلا تضيعوا أوقاتنا».

نقول لهم: ما بالكم والذي تكلم في هذه القضية وأثارها هو النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه وهو في معرض تأسيس الدولة الإسلامية، ألم يكن النبي محيطًا بالواقع ملمًّا به؟! حاشا لله، أكان النبي مضيعًا للوقت بإثارته مثل هذا، ولكننا نقول: إنها قضية تربوية المقصد منها كغيرها من القضايا التربوية تربية المسلم والعلو بإيمانه إلى كماله، فإذا علا إيمان المسلم عبد ربه حق عبادته، وهو المقصد الأول من خلقه، ثم تأتي بعد ذلك اهتماماته الأخرى من القيام بواجبه نحو القضايا الكبيرة التي يذكرون.

السلف لم يكونوا جامدين تجاه القضايا

والناظر إلى تناول السلف لهذه القضية لا يجدهم يقفون جامدين أمام نص أو منغلقين على حكم، بل تجدهم يدورون مع ما يعلو به إيمان المسلم، وتتحقق مصلحته فأينما قوي إيمانه فثم فقههم رحمهم الله.

فتجدهم في فتاواهم يفرقون بين حال الإنسان في حالة الفتن، وبين ما ينبغي أن يكون عليه في غير الفتن، ففي الفتن يفتون بالعزلة، قال في (عمدة القاري شرح صحيح

البخاري (١ /٤٣٧): «قال الكرماني: المختار في عصرنا تفضيل الانعزال لندور خلو المحافل عن المعاصي. اهـ

و قال ابن كثير: «وهذا هو المشروع عند وقوع الفتن في الناس، أن يفر العبد منهم خوفا على دينه، كما جاء في الحديث: «يوشك أن يكون خيرُ مال أحدكم غنمًا يتبع بها شعف الجبال ومواقع القَطْر؛ يفر بدينه من الفتن» ففي هذه الحال تشرع العزلة عن الناس». اهـ تفسير ابن كثير (٥/١٤٢).

ولأنها ليست فتاوى جامدة كما أسلفنا نجدها تتغير مع تغير الأحوال ومع نظرتهم لواقع المستفتي:

لذا قال الغزالي رحمه الله: «إن وجدت جليسًا يذكّرك الله رؤيته وسيرته فالزمه ولا تفارقه (إحياء علوم الدين ٢/٢٣٢).

وكان الحافظ ابن حجر من أفضل من فصّل في ذلك وبيّن أنه يصعب التفضيل المطلق لأحدهما على الآخر، كما لا يمكن الاستغناء بأحدهما عن الآخر، فلكل منهما ما يناسبه. فقال الحافظ في الفتح: (١٣ /٤٢) بعدما عرض رأي النووي وتفريقه بين من خاف على نفسه الفتنة وبين من أمن قال: وقال غيره: يختلف باختلاف الأشخاص؛ فمنهم من يتحتم عليه أحد الأمرين، ومنهم من يترجح، وليس الكلام فيه بل إذا تساويا فيختلف باختلاف الأحوال، فإن تعارضا اختلف باختلاف الأوقات، فمن يتحتم عليه المخالطة من كانت له قدرة على إزالة المنكر فيجب عليه إما عينًا وإما كفاية بحسب الحال والإمكان، وممن يترجح من يغلب على ظنه أنه يسلم في نفسه إذا قام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وممن يستوي من يأمن على نفسه، ولكنه يتحقق أنه لا يطاع، وهذا حيث لا يكون هناك فتنة عامة، فإن وقعت الفتنة ترجحت العزلة لما ينشأ فيها غالبًا من الوقوع في المحذور، وقد تقع العقوبة بأصحاب الفتنة فتعم من ليس من أهلها كما قال تعالى: «واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة»، ويؤيد التفصيل المذكور حديث أبي سعيد أيضًا «خير الناس رجل جاهد بنفسه وماله ورجل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره».

وأفاض شيخ الإسلام رحمه الله مبينًا أن أحكام العزلة والخلطة ليست ثابتة مطلقًا فقال في (مجموع الفتاوى :١٠ /٤٢٥): وَأَمَّا قَوْلُهُ: هَلْ الْأَفْضَل للسَّالك الْعُزْلَةُ أَوْ الْخُلْطَةُ؟ فَهَذه « الْمَسْأَلَةُ » وَإِنْ كَانَ النَّاسُ يَتَنَازَعُونَ فيهَا؟ إمَّا نزَاعًا كُلِّيًّا وَإِمَّا حَاليًّا. فَحَقيقَةُ الْأَمْـر: أَنَّ « الْخُلْطَةَ » تَـارَةً تَكُونُ وَاجِبَةً أَوْ مُسْتَحَبَّةً وَالشَّخْصُ الْوَاحدُ قَدْ يَكُونُ مَأْمُورًا بِالْمُخَالَطَة تَارَةً وَبالانْفرَاد تَارَةً. وَجمَاعُ ذَلكَ: أَنَّ « الْمُخَالَطَةَ » إنْ كَانَ فيهَا تَعَاوُنٌ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى فَهيَ مَأْمُورٌ بهَا وَإِنْ كَانَ فيهَا تَعَاوُنٌ عَلَى الْإِثْم وَالْعُدْوَان فَهيَ مَنْهيٌّ عَنْهَا «اهـ.

ثم يتمم لنا الإمام ابن القيم هذه القضية بتعرضه في هذه المرة ليس إلى تصنيف الذي يختار، ولكن تصنيف الناس بحسب احتياجنا إليهم أي تتعلق بالآخر فنجده في (بدائع الفوائد (٢ /٤٩٨)) في بيانه لقاعدة نافعة فيما يعتصم به العبد من الشيطان، ويستدفع به شره، ويحترز به منه، وذكر في ذلك عشرة أسباب؛ بدأها بالاستعاذة بالله من الشيطان، ثم ذكر من الأسباب المعينة اجتناب فضول المخالطة، فقال: إن فضول المخالطة هي الداء العضال الجالب لكل شر، وكم سلبت المخالطة والمعاشرة من نعمة! وكم زرعت من عداوة! وكم غرست في القلب من حزازات تزول! لها الجبال الراسيات وهي في القلوب لا تزول، ففضول المخالطة فيه خسارة الدنيا والآخرة، وإنما ينبغي للعبد أن يأخذ من المخالطة بمقدار الحاجة، ويجعل الناس فيها أربعة أقسام متى خلط أحد الأقسام بالآخر ولم يميز بينهما دخل عليه

الشر.

أحدها: مَنْ مخالطته كالغذاء لا يستغنى عنه في اليوم والليلة، فإذا أخذ حاجته منه ترك الخلطة، ثم إذا احتاج إليه خالطه، هكذا على الدوام، وهذا الضرب أعز من الكبريت الأحمر، وهم العلماء بالله تعالى وأمره ومكايد عدوه وأمراض القلوب وأدويتها الناصحون لله تعالى ولكتابه ولرسوله ولخلقه فهذا الضرب في مخالطتهم الربح كله.

القسم الثاني: مَنْ مخالطته كالدواء يحتاج إليه عند المرض فما دمت صحيحًا فلا حاجة لك في خلطته، وهم من لا يستغنى عن مخالطتهم في مصلحة المعاش، وقيام ما أنت محتاج إليه من أنواع المعاملات والمشاركات والاستشارة والعلاج للأدواء ونحوها....» انتهى.

وحتى ما سبق من مخالطة تكون السلامة ثم يبدأ الخطر من بعد ذلك فيقول: فإذا قضيت حاجتك من مخالطة هذا الضرب (أي من القسم الثاني) بقيت مخالطتهم من القسم الثالث (والذي هو بداية الضرر).

القسم الثالث: وهم من مخالطته كالداء على اختلاف مراتبه وأنواعه وقوته وضعفه، فمنهم من مخالطته كالداء العضال والمرض المزمن، وهو من لا تربح عليه في دين ولا دنيا.. فهذا إذا تمكنت مخالطته واتصلت فهي مرض الموت المخوف، ومنهم من مخالطته كوجع الضرس يشتد ضربًا عليك فإذا فارقك سكن الألم.

ومنهم من مخالطته حمى الروح وهو الثقيل البغيض العقل الذي لا يحسن أن يتكلم فيفيدك، ولا يحسن أن ينصت فيستفيد منك ولا يعرف نفسه فيضعها في منزلتها، بل إن تكلم فكلامه كالعصي تنزل على قلوب السامعين مع إعجابه بكلامه وفرحه به، فهو يحدث من فيه كلما تحدث، ويظن أنه مسك يطيب به المجلس وإن سكت فأثقل من نصف الرحى العظيمة التي لا يطاق حملها ولا جرها على الأرض.

ويذكر عن الشافعي -رحمه الله- أنه قال: «ما جلس إلى جانبي ثقيل إلا وجدت الجانب الذي هو فيه أنزل من الجانب الآخر»، ورأيت يومًا عند شيخنا قدس الله روحه رجلاً من هذا الضرب والشيخ يحمله، وقد ضعف القوي عن حمله فالتفت إليّ وقال: مجالسة الثقيل حمى الرِّبْع، ثم قال: لكن قد أدمنت أرواحنا على الحمى، فصارت لها عادة أو كما قال. وبالجملة فمخالطة كل مخالف حمى للروح عرضية ولازمة.

ومن نكد الدنيا على العبد أن يبتلى بواحد من هذا الضرب، وليس له بدّ من معاشرته ومخالطته فليعاشره بالمعروف حتى يجعل الله له فرجًا ومخرجًا.

القسم الرابع: من مخالطته الهلك كله، ومخالطته بمنزلة أكل السم، فإن اتفق لأكله ترياق وإلا فأحسن الله فيه العزاء، وما أكثر هذا الضرب في الناس لا كثرهم الله، وهم أهل البدع والضلالة الصادون عن سنة رسول الله الداعون إلى خلافها الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجًا، فيجعلون البدعة سنة والسنة بدعة والمعروف منكرًا والمنكر معروفًا» اهـ.

وها أنت ذا قد رأيت أن السلف لا يقفون جامدين أمام نص، بل يضعون نصب أعينهم هدفهم الأول وهو المقصد من الخلق ثم يدورون حول النص – طالما صح – يدورون حوله فهمًا لتطويعه لهذه القضية قضية العبودية، إذن فلا نتعجل بالاعتراض والإنكار والفلسفة التي تحيد بالمسلم عن طريق الحق والخير، ولننظر إلى أفهام السلف ،فقد رزقهم الله بصيرة مستنيرة بنور الطاعة والانقياد، وليكن شعارنا دائمًا هو قول المؤمنين: «سمعنا وأطعنا».

والحمد لله رب العالمين.

القسم
الثاني

الحلقة (٣٧)

درر البحار في تحقيق ضعيف الأحاديث القصار

إعداد/ علي حشيش

٣٧٠- " ثَلَاثَةٌ لَا يُعَادُ صَاحِبُهُنَّ؛ الرَّمَدُ وَالضِّرْسُ وَالدُّمَّلُ ".

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الطبراني في «الأوسط» (ح١٥٢) من حديث أبي هريرة مرفوعًا وقال: «ولم يَرْوِ هذا الحديث عن الأوزاعي إلا مَسْلَمة بن علي» ومسلمة هو علة، هذا الحديث قال الحافظ الذهبي في «الميزان» (٨٥٢٧/١٠٩/٤): «مسلمة بن علي الخشني، شامي واهٍ، تركوه، قال دحيم: ليس بشيء، وقال أبو حاتم: لا يشتغل به، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: متروك، وقال ابن عدي: عامة أحاديثه غير محفوظة. وقال ابن حبان في «المجروحين» (٣٣/٣): «كان ممن يقلب الأسانيد ويروي عن الثقات ما ليس من أحاديثهم توهمًا فلما فحش ذلك منه بطل الاحتجاج به» روى عن الأوزاعي والزبيدي وابن جُريج، روى عنه أهل الشام.

٣٧١- "اتخذ الله إبراهيم خليلاً، وموسى نجيبًا، واتخذني حبيبًا، ثم قال: وعزتي لأوثرن حبيبي على خليلي ونجيبي".

الحديث لا يصح: أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» (ص١٢٦) الآية (النساء: ١٢٥) من طريق سعيد بن أبي مريم عن مسلمة قال: حدثني زيد بن واقد عن القاسم بجيد عن أبي هريرة مرفوعًا، وعلته: مسلمة بن علي الخشني قال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٦٥٥٠/١٠٢/١٨): «روى عن زيد بن واقد.. وآخرين، وذكر أقوال أئمة الجرح والتعديل التي أوردناها آنفًا وزاد؛ قال الحاكم أبو أحمد: «ذاهب الحديث». اهـ. وقال الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (١٣٣/١٠): قال الحاكم: «روى عن الأوزاعي والزبيدي المناكير والموضوعات». اهـ. وتخريج الحاكم إياه بالوضع هو شر من الكذب، كما لا يخفى على أهل الصناعة الحديثية. وذلك على تساهل الحاكم كما لا يخفى من استقراء «المستدرك».

٣٧٢- "العنكبوتُ شيطانٌ مَسَخَه اللهُ فاقْتُلُوه".

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١٧٩٩/٣١٦/٦) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا، وعلته مسلمة بن علي الخشني، وقد بينا حاله من الجرح الشديد، وقال ابن حزم في «المحلى» (٤٣٠/٧): «وكل ما جاء في الممسوخ في غير القرد والخنزير فباطل، وكذب موضوع». اهـ.

٣٧٣- " وَمَنْ قَرَأَ سُورَةَ الطَّارِقِ أَعْطَاهُ اللهُ بِعَدَدِ كُلِّ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ عَشْرُ حَسَنَاتٍ ".

الحديث لا يصح: أخرجه الثعلبي في تفسيره المسمى «الكشف والبيان» (١٧٧/١٠)،

والواحدي في «تفسيره» (٤/٤٦٤) (ح١٣٢٤)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/٥٧٦) من حديث أبي بن كعب مرفوعًا؛ وعلته سلام بن سليم الطويل المدائني، قال الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١/٣٣٥): «يروي عن الثقات الموضوعات كأنه كان المتعمد لها». اهـ.
وبيانه أنه: كذاب، غير ثقة، ليس بشيء متروك، وعلة أخرى: هارون بن كثير مجهول، وعلة ثالثة: زيد بن سالم عن أبيه نكرة، كذا في تحقيق الحديث (٣٦٩) العدد (٣٩) من هذه السلسلة بالتفصيل لأقوال الجرح والتعديل.

٣٧٤- " مَنْ قَرَأَ سُورَةَ عبس وتولى جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَوَجْهُهُ ضَاحِكٌ مُسْتَبْشِرٌ. "

الحديث لا يصح أخرجه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/١٣٠) والواحدي في تفسيره المسمى «الوسيط في تفسير القرآن المجيد» (٤/٤٣٢) (ح١٢٧٧)، والزمخشري في «تفسيره» «الكشاف» (٤/٥٤٨) من حديث أبي بن كعب مرفوعًا، وعلته سلام بن سليم الطويل الكذاب وعلة أخرى هارون بن كثير مجهول، وعلة ثالثة: زيد بن سالم عن أبيه نكرة كما بينا آنفًا.

٣٧٥- " مَنْ قَرَأَ: " إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ أَعَاذَهُ اللَّهُ أَنْ يَفْضَحَهُ حِينَ تُنْشَرُ صَحِيفَتُهُ "

الحديث لا يصح: أخرجه الواحدي في «تفسيره» (٤/٤٢٧) (ح١٢٨٠)، والزمخشري في تفسيره «الكشاف» (٤/٥٥٤) من حديث أبي بن كعب مرفوعًا وعلته سلام بن سليم الكذاب، وعلة أخرى هارون بن كثير مجهول، وعلة ثالثة: زيد بن سالم عن أبيه نكرة، وهذه العلة تزيد الحديث وهنًا على وهن.

٣٧٦- " من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة، وقل هو الله أحد إحدى عشرة مرة؛ فكأنما عَبَدَ الله تعالى اثنتي عشرة سنة صيام نهارها وقيام ليلها ".

الحديث لا يصح، أورده الغزالي في «الإحياء» (١/٢٠١) من حديث جابر مرفوعًا فقال الحافظ العراقي في «تخريجه»: «الحديث باطل لا أصل له». ثم قال: «ليس يصح في أيام الأسبوع ولياليه شيء».

٣٧٧- " كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَرَى الرَّجُلَ جَهِيرًا رَفِيعَ الصَّوْتِ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَرَاهُ خَفِيضَ الصَّوْتِ ".

لا يصح: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨/٢٠٨) (ح٧٧٣٦)، وابن عدي في «الكامل» (٦/٣١٤) (١٧٨/١٧٩٩) من حديث مسلمة بن علي عن يحيى بن الحارث الذماري عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعًا، وقال ابن عدي: «لا أعلم يرويه عن يحيى إلا مسلمة، وكل أحاديثه أو عامتها غير محفوظة». اهـ. ومسلمة متهم كما بينا آنفًا.

٣٧٨- " ليغسل موتاكم المأمونون ".

الحديث لا يصح: أخرجه ابن ماجه في «السنن» (١/٤٦٩) (ح١٤٦١) عن بقية بن الوليد عن مبشر بن عبيد عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عمر مرفوعًا، قال أحمد بن أبي بكر البوصيري في «مصابيح الزجاجة في زوائد ابن ماجه» (١/٤٧٢) (ح٥١٧): بقية بن الوليد مدلس، وقد رواه بالعنعنة، وشيخه قال فيه أحمد بن حنبل: أحاديثه كذب موضوعة، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال الدارقطني: متروك الحديث يضع الأحاديث ويكذب». اهـ. قاله الدارقطني في «السنن» (٤/٢٣٦) في مبشر بن عبيد.

الأَيْمَان..
آداب وأحكام

الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله ، فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل ، فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد،

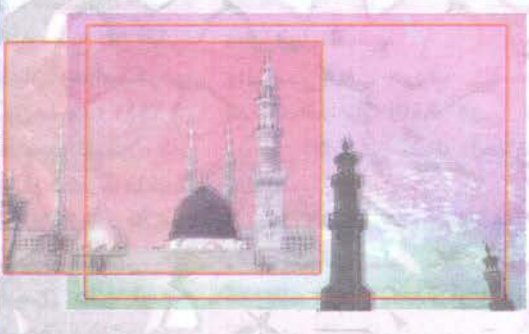

إعداد/ **محمد عبد العزيز**

فاليمين بالله عبادة من العبادات، فيه تعظيم للخالق- سبحانه وتعالى-، وفيه تأكيد للأخبار والإنشاءات (العقود) التي تحتاج للتأكيد، وقد أمر الله- سبحانه وتعالى- نبيه- صلى الله عليه وسلم- بالقسم في مواضع ثلاثة من كتابه تأكيدًا للخبر فقال: «وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ » (سورة يونس: ٥٣)، وقال: « وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ » (سورة سبأ: ٣)، وقال: «زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ » (سورة التغابن: ٧).

فاليمين بالله معظمة، ولذا نهى المكلف أن يسرع إليها كلما بدا له أمر، أو أراد أن يمنع نفسه من البر والتقوى أن يقسم به قال تعالى: «وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » (سورة البقرة: ٢٢٤).

وقد أمر الله بحفظ الأيمان إذا ما وقعت ، قال تعالى: «وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ » (سورة المائدة: ٨٩)

وأمر سبحانه بعدم نقض اليمين إذا ما عقدت قال تعالى: «وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ » (سورة النحل: ٩١).

والمراد من نقض الأيمان هنا عدم الوفاء بها.

والكذب في اليمين كبيرة من كبائر الإثم ، سواء كان الحلف على ماض أو حاضر أو مستقبل.

وأعظم ذلك أن يحلف اليمين كذبًا ليروج به سلعته إن كان بائعًا، أو يقتطع بها حق امرئٍ مسلم.

قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » (سورة آل عمران: ٧٧).

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله

عنهما - قال: (جاء أعرابي إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال يا رسول الله ما الكبائر؟

قال: «الإشراك بالله».

قال: ثم ماذا؟

قال: «ثم عقوق الوالدين».

قال: ثم ماذا؟

قال: «اليمين الغموس».

قال: قلت: وما اليمين الغموس؟

قال: «الذي يقتطع مال امرئ مسلم هو فيها كاذب».) رواه البخاري (٦٩٢٠).

وعن أبي ذر- رضي الله عنه- قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم (ثلاثا).

قال أبو ذر رضى الله عنه: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

قال: المسبل إزاره. والمنفق سلعته بالحلف الكاذب. والمنان عطاءه». رواه مسلم (١٠٦)، وأبو داود (٤٠٨٧)، والنسائي (٢٥٦٣) والترمذي (١١٢١)، وابن ماجه (٢٢٠٨).

ويمكن تصور أحكام اليمين وأقسامه بتصور أركانه التي ينبني عليها، وشرائط تلك الأركان التي يجب أن تتصف بها.

أركان اليمين أو القسم وشرائطها:

وأركان اليمين أو القسم أربعة أركان:

١- المقسِم.
٢- أداة القسَم.
٣- المقسَم به، أو له.
٤- المقسم عليه.

الركن الأول: المقسِم: وهو صاحب اليمين أو القسَم، ومن شرائطه حتى تنعقد يمينه:

١- أن يكون مميزًا، وسن التمييز عند الفقهاء سبع سنوات، فإن كان غير مميز فلا تنعقد يمينه. ولا تجب الكفارة في يمين المميز إذا حنث، بل تستحب لأنه غير مكلف، فلا تجب الكفارة بالحنث إلا على البالغ.

٢- أن يكون عاقلاً، فالعقل مناط التكليف، فإن كان مجنونًا فلا تنعقد يمينه.

ودليل هذين الشرطين حديث عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (رفع القلم عن ثلاثة:

- عن النائم حتى يستيقظ.
- وعن المبتلى حتى يبرأ.
- وعن الصبى حتى يكبر) رواه أبو داود (٤٣٩٨)، وابن ماجه (٢٠٤١)، والنسائي في «الكبرى» (٥٥٩٦).

٣- أن يكون مختارًا، فإن كان مكرهًا فلا تنعقد يمينه.

٤- أن يكون ذاكرًا ليمينه، فإن حلف ناسيًا فلا تنعقد يمينه.

ودليل هذين الشرطين حديث ابن عباس- رضي الله عنهما- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إن الله وضع عن أمتي: الخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه». رواه ابن ماجه (٢١٢٣).

٥- أن يكون قاصدًا لليمين، فإن كان مخطأ بأن أراد كلامًا فأخطأ بذكر اليمين، فلا تنعقد اليمين لما مر من الحديث السابق.

وإن جرى اليمين على لسانه دون أن يقصد عقده فلا تنعقد اليمين لقوله تعالى: «لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ» (سورة البقرة: ٢٢٥). (٣٢٦/٢).

قال ابن كثير (٣٢٦/٢): «أي لا يعاقبكم ولا يلزمكم بما صدر منكم من الأيمان اللاغية، وهي التي لا يقصدها الحالف بل تجري على لسانه عادة من غير تعقيد ولا تأكيد».

٦- أن يكون عالمًا بالحكم، والمراد إجمالاً وهو يعلم أن الله عظم اليمين وأوجب الصدق والوفاء بها.

الركن الثاني: أداة القسم: وأدوات القسم ثلاث: الباء، والواو، والتاء.

فالباء: أوسعها استخدامًا في اللغة، فإنها تدخل على الاسم الظاهر فتقول: بالله، وبالرحمن وتدخل على الاسم المضمر تقول: به أقسم، وأحلف به .

ويذكر معها فعل القسم فتقول: أقسم بالله، أحلف بالرحمن.

ويحذف معها فعل القسم فتقول: بالله لأصلين جماعة.

والواو: أكثرها استعمالاً على ألسنة الناس وإن كانت أقل استخدامًا في اللغة، فهي لا تدخل إلا على الاسم الظاهر فلا تدخل على المضمر تقول: والله لأفين بالوعد. ولا يذكر معها فعل القسم.

والتاء: أقل حروف القسم استخدامًا في اللغة فهي لا تدخل إلا على لفظ الجلالة كقوله: «وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم» (سورة الأنبياء: ٥٧).

وقد تدخل على لفظ الرب كقولك: ترب الكعبة أو البيت لأصومن النوافل.

الركن الثالث: المقسم به أو له:

أما المقسم به: فيشترط لانعقاد القسم أن يكون بأسماء الله الحسنى، أو صفة من صفاته

العُلى، فإن كان القسم بغير الله فلا ينعقد اليمين.

والقسم بغير الله لا يجوز، وهو من شرك الألفاظ؛ لحديث ابن عمر - رضي الله عنهما- أنه أدرك عمر بن الخطاب في ركب وهو يحلف بأبيه.

فناداهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفًا فليحلف بالله، وإلا فليصمت». رواه البخاري (٦١٠٨)، ومسلم (١٦٠٦).

وعن سعد بن عبيدة أن ابن عمر سمع رجلًا يقول: لا والكعبة.

فقال ابن عمر: لا يُحلَف بغير الله.

فإني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك». رواه الترمذي (١٦٢٠).

وإن أقسم بغير الله تعظيمًا للمقسم به كتعظيم الله فهذا من الشرك الأكبر المخرج من الملة بلا خلاف.

ومن الأقسام التي تدور على ألسنة الناس أيضًا:

- الحلف بآيات الله: وهذا يحتمل معنيين: آيات الله يعني كلامه، وآياته الكونية كالشمس والقمر، والنجوم...

فإن أراد بآيات الله القرآن فهو جائز فهو كلام الله وهو صفة من صفاته، وإن أراد آيات الله الكونية فهي مخلوقة فلا يجوز الحلف بها، وهذا من شرك الألفاظ كما مر.

- الحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم، والعرش، والكعبة وغيرها؛ وهذا من القسم بغير الله- سبحانه وتعالى- فلا يجوز، ولا تنعقد به اليمين وهو من الشرك الأصغر لحديث ابن عمر السابق.

- الحلف بالأمانة والذمة ونحوهما؛ هو أيضًا من الحلف بغير الله فلا يجوز لحديث بُريدَةَ - رضي الله عنه -: أنَّ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم -، قَالَ: «مَنْ حَلَفَ بالأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا» رواه أبو داود (٣٢٥٣).

أما المقسم له: فقد عدَّ بعض أهل العلم هذا القسم من جملة الأيمان، وعليه فإنه داخل في هذا الركن فهو قسم منه.

وهو أن يلتزم شيئًا لله إن فعل كذا، أو ترك كذا، كأن يقول عليَّ أو يلزمني الطلاق أو العتاق إن فعلت كذا أو تركت كذا- فصورته صورة نذر اللجاج، وقد سبق الحديث عنه في المقال السابق (النذر أحكام وآداب)- وهو قول الحنفية واحدى الروايتين عن أحمد وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية.

قال شيخ الإسلام «مجموع الفتاوى، جمع الشيخ عبد الرحمن بن القاسم » (٣٣ / ١٢٥، ١٢٦): «النوع الثاني «أيمان المسلمين فإن حلف باسم الله فهي أيمان منعقدة بالنص والإجماع وفيها الكفارة إذا حنث.

وإذا حلف بما يلتزمه لله كالحلف بالنذر والظهار والحرام والطلاق والعتاق مثل أن يقول: إن فعلت كذا فعلي عشر حجج، أو فمالي صدقة، أو: علي صيام شهر، أو: فنسائي طوالق: أو عبيدي أحرار، أو يقول: الحل علي حرام لا أفعل كذا، أو الطلاق يلزمني لا أفعل كذا وكذا. أو إلا فعلت كذا. وإن فعلت كذا فنسائي طوالق، أو عبيدي أحرار ونحو ذلك؛ فهذه الأيمان أيمان المسلمين عند الصحابة وجمهور العلماء وهي أيمان منعقدة.

وقال طائفة: بل هو من جنس الحلف بالمخلوقات فلا تنعقد.

والأول أصح وهو قول الصحابة؛ فإن عمر وابن عمر وابن عباس وغيرهم كانوا ينهون عن النوع الأول.

وكانوا يأمرون من حلف بالنوع الثاني أن يكفر عن يمينه ولا ينهونه عن ذلك، فإن هذا من جنس الحلف بالله والنذر لله».

ثم قال: «والصحيح أن هذه الأيمان كلها فيها كفارة إذا حنث، ولا يلزمه إذا حنث لا نذر ولا طلاق ولا عتاق ولا حرام.

وهذا معنى أقوال الصحابة فقد ثبت النقل عنهم صريحًا بذلك في الحلف بالعتق والنذر، وتعليلهم وعموم كلامهم يتناول الحلف بالطلاق، وقد ثبت عن غير واحد من السلف أنه لا يلزم الحلف بالطلاق طلاقًا كما ثبت عن طاووس وعكرمة وعن أبي جعفر وجعفر ابن محمد.

ومن هؤلاء من ألزم الكفارة وهو الصحيح. ومنهم من لم يلزمه الكفارة.

فللعلماء في الحلف بالطلاق

أكثر من «أربعة أقوال»

قيل: يلزمه مطلقا؛ كقول الأربعة.

وقيل: لا يلزمه مطلقًا؛ كقول أبي عبد الرحمن الشافعي وابن حزم وغيرهما.

وقيل: إن قصد به اليمين لم يلزمه، وهو أصح الأقوال.

ومن الصور المحرمة لهذا النوع (المقسم له): أن يلتزم ملة غير الإسلام.

كالحلف بالحرام من الدين أو بالبراءة من الإسلام: فمن حلف أنه حرام من دينه أو بريء من الإسلام إن فعل كذا وكذا؛ فإن كذب فقد أتى بابًا عظيمًا من أبواب الكبائر، وإن صدق فلن يرجع للإسلام سالمًا؛ لحديث بُريدَةَ - رضي الله عنه - قَالَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم -: من حلف، فقال: إني بريء من الإسلام، فإن كان كاذبًا فهو كما قال، وإن كان صادقًا فلن يرجع إلى الإسلام سالمًا». رواه أَبُو داود (٣٢٥٨)، والنسائي (٣٧٧٢)، وابن ماجه (٢١٠٠).

الحلف على ملة غير الإسلام: كأن يقول هو يهودي أو نصراني إن فعل كذا، أو إن ترك كذا من الإثم العظيم لحديث ثابت بن الضحاك- رضي الله عنه- قال رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم -: «من حلف بملة غير الإسلام كاذبًا متعمدًا، فهو كما قال» رواه البخاري (١٣٦٣)، ومسلم (١٧٦).

ولا كفارة له فهي يمين غير منعقدة، وعليه أن يتوب إلى الله توبة نصوحًا.

الركن الرابع: المقسم عليه: فهو ينقسم في الجملة إلى قسمين:

الأول: أن يقسم على مشروع، فإما أن يكون واجبًا، فيجب عليه الوفاء بيمينه ويحرم عليه الحنث، وإما أن يكون مستحبًا فيستحب له الوفاء باليمين، ويباح له الكفارة، وإما أن يكون مباحًا فقد يكون غيره خيرًا منه فيستحب له أن يكفر عن يمينه ويأت الذي هو خير لحديث أبى موسى الأشعري قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها، إلا كفرت عن يميني، وأتيت الذي هو خير» رواه البخاري (٦٧١٨)، ومسلم (١٦٤٩)، وأبو داود (٣٢٧٦)، وابن ماجه (٢١٠٧).

الآخر: أن يقسم على غير مشروع كترك واجب أو فعل محرم، فهذا يحرم الوفاء به، وتجب الكفارة.

كفارات الأيمان:

المراد بالكفارة في باب الأيمان ما يخرج الحانث من يمينه، والإجماع منعقد على أنه لا تجب إلا بالحنث.

قال ابن عبد البر في الاستذكار (٥ / ١٩٧): «فإن الكفارة لا تتعلق باليمين عند الجميع، وإنما تتعلق بالحنث».

فإذا حنث في يمينه أخرجته الكفارة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية «مجموع الفتاوى، جمع الشيخ عبد الرحمن بن القاسم» (٣٥ / ٢٥١) «وكانوا في أول الإسلام لا مخرج لهم من اليمين قبل أن تشرع الكفارة».

والكفارة مشروعة بالكتاب والسنة، وقد انعقد الإجماع عليهما، فأما الكتاب فقوله تعالى: «لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ »(سورة المائدة: ٨٩).

وأما السنة فمنها حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها، فليكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير» رواه مسلم (١٦٥٠).

وقال ابن المنذر في الإجماع (ص ١٣٧): «وأجمعوا على أن من حلف باسم من أسماء الله تعالى، ثم حنث أن عليه الكفارة».

واليمين التي تدخلها الكفارة هي ما توفر فيها شروط أربعة:

١. أن تكون باسم من أسماء الله، أو بصفة من صفاته، فإن كانت بغير ذلك فلا تدخلها الكفارة.

٢. أن يقصد بها المكلف اليمين؛ فتلك اليمين المنعقدة، فإن كانت لغوًا فلا تدخلها الكفارة.

٣. أن تكون على أمر مستقبل، فإن كانت على أمر ماض فإما أن يكون صادقا، أو ظانًا صدق نفسه فأخطأ، فلا تدخلها الكفارة، أما إن كان كاذبًا فتلك اليمين الغموس على قول، والصحيح أنها لا تدخلها الكفارة.

قال ابن المنذر في الإشراف (٧ / ١١٧): «وقال الحسن: إذا حلف على أمر كاذبًا متعمدًا، فليس فيه كفارة.

وهذا قول مالك، ومن تبعه من

أهل المدينة.

وبه قال الأوزاعي ومن وافقه من أهل الشام وقول الثوري وأهل العراق.

وبه قال أحمد، وإسحاق، وأبو ثور، وأبو عبيد، وأصحاب الحديث، وأصحاب الرأي من أهل الكوفة.

قال أبو بكر: وقول النبي- صلى الله عليه وسلم - من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها، فليأتِ الذي هو خيرٌ، وليُكفِّر عن يمينه».

وقوله - صلى الله عليه وسلم -: فليكفر عن يمينه، ويأتِ الذي هو خيرٌ».

يدل على أن الكفارة إنما تجب فيمن حلف على فعل يفعله فيما يستقبل فلا يفعله، أو على فعل ألا يفعله فيما يستقبل، فيفعله.

وفي هذه المسألة قول ثان: وهو أن يكفر، وإن أثم وعمد الحلف بالله كاذباً، هذا قول الشافعي.

قال أبو بكر: ولا نعلم خبراً يدل على هذا القول، والكتاب والسنة دالان على القول الأول».

٤- ألا يستثني في يمينه، فإن استثنى خرج من يمينه بلا كفارة.

والاستثناء أن يقول: إن شاء الله، كأن يقول: والله لا أفعل كذا إن شاء الله.

لحديث ابن عمر قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «من حلف فاستثنى فإن شاء رجع وإن شاء ترك غير حنث». رواه أبو داود (٣٢٦٤)، والنسائي (٣٧٩٣)، والترمذي (١٦١٦)، وابن ماجه (٢١٠٥). وَلَفْظُ التِّرْمذيِّ: «فَقَالَ: إنْ شَاءَ اللَّه فَلَا حَنْثَ عَلَيْهِ».

والاستثناء الرافع للكفارة ما اتصل باليمين لفظًا، فإن استثنى في نفسه لم ينفعه الاستثناء.

قال ابن المنذر في الإشراف (٧ / ١٢٠- ١٢١): «ولا يكون الاستثناء بالقلب، وانما يكون مستثنى باللسان، لقوله: «فقال: إن شاء الله.

وهذا قول مالك بن أنس، والثوري، والأوزاعي، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأبي ثور.

وممن حفظنا عنه أنه قال: لا يكون مستثنى حتى يظهر الاستثناء بلسانه، الحسن البصري، والنخعي، وحماد، والثوري، والكوفي، وأحمد، وإسحاق وهو يشبه مذهب الشافعي، وأبي ثور.»

فإن اجتمعت تلك الشروط في يمين، وحنث المكلف فيها وجبت الكفارة، وإن تخلف منها شرط فلا تجب.

قال ابن هبيرة في الإفصاح (٢ / ٢٣١): «وأجمعوا على أن اليمين المنعقدة هو: أن يحلف على أمر من المستقبل أن يفعله أو لا يفعله، فإذا حنث وجبت الكفارة».

بم يكفّر الحانث؟

كفارة اليمين تنقسم في الجملة إلى قسمين على الترتيب، فلا ينتقل من القسم الأول إلى الآخر إلا بالعجز.

القسم الأول: الحانث في يمينه مخير فيه بين خصلة من ثلاث:

١- عتق رقبة مؤمنة.

٢- إطعام عشرة مساكين، من أوسط طعامه.

٣- كسوة عشرة مساكين، ويجزئ فيها ما يسمى كسوة كسراويل- بنطلون-، أو قميص..

القسم الآخر: مرتب على القسم السابق فإن عجز عن خصاله انتقل إليه، وهو صيام ثلاثة أيام

قال تعالى: « فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْۚ» (سورة المائدة: ٨٩).

متى يكفر عن يمينه؟

أجمع أهل العلم على أن الكفارة عن اليمين بعد الحنث مجزئة، وذهب بعض أهل العلم إلى جوازها عند إرادة الحنث قبل وقوعه، وهو الصحيح لحديث أبي موسى الأشعري قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرًا منها، إلا كفرت عن يميني، وأتيت الذي هو خير» وقد تقدم قريبًا.

وموضع الشاهد فيه تقديم الكفارة على الحنث.

فإن لم يستطع أحد القسمين ثبتت في ذمته الكفارة إذا تمكن من أداء أحدهما.

هذا ما يسر الله عرضه في هذا المقال، وهو يجمع جُلَّ أحكام اليمين فله الفضل وحده بما فيه من إصابة وتوفيق، وأسأله سبحانه أن يغفر لي زللي، وخطئي؛ إنه نعم المولى ونعم النصير.

باب العقيدة

ألقاب أهل السنة عند خصومهم من أهل البدع

الحلقة الثانية

إعداد/ **د. عبد الله شاكر**

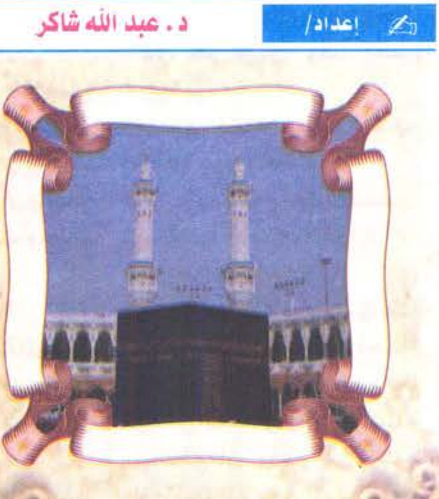

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد تناولنا في العدد الماضي بعض الألقاب التي أطلقها خصوم أهل السنة عليهم حقدًا وجهلاً، وفي هذا العدد نذكر باقي هذه الألقاب وكيف تعامل أهل السنة مع هذه الاتهامات المغرضة، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

نبز أهل السنة بألقاب: ناصبة، وعامة، وجمهور، والرد عليهم:

هذه الألقاب أيضًا من الألقاب الشنيعة التي رماهم بها الرافضة، وهذه الألقاب يطلقونها - أي: لقب ناصبة بالذات - على كل مَن قَدَّم أبا بكر وعمر وعثمان على علي رضي الله عنهم في الخلافة والفضل.

وعند الرافضة: كل من لم يبغض أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فقد أبغض عليًّا؛ لأنه لا ولاء لعلي إلا بالبراءة منهما، ثم جعلوا كل من أحب أبا بكر وعمر ناصبيًّا. ويبرز صاحب كتاب (الزينة): وجهًا آخر لإطلاق لقب ناصبي، فيقول: أوردت الشيعة في قراءتهم: أن جعفر بن محمد رضي الله عنه قرأ الآية التي في قوله: «أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ» (الشرح: ١) قرأ خاتمتها، بقوله: «فإذا فرغت فانصِب» بكسر الصاد، وقالوا: إذا فرغت من إكمال الشريعة، فانصب لهم عليًّا إمامًا! فقالت الشيعة: لما أمر الله عز وجل بذلك نصب النبي صلى الله عليه وسلم عليًّا، وأشار إليه، وأهَّله للإمامة، وقال: «اللهم وال مَن والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله». فمن نازعه في الإمامة ودَعَا إلى مخالفته ونصب إمامًا بإزائه غيره، فقد ناصب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله العَداءَ؛ لأنه نصَّب عليًّا، وهذا نصب غيره، وخذل عليًّا وعاداه، وترك نصرته، وصار مع عدوه حربًا عليه، فهو مناصب؛ لأنه ناصب النبيَّ صلى الله عليه وسلم.

قال الإمام الطحاوي رحمه الله في «عقيدته»: ونحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نفرِط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض مَن يبغضهم،

وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيانٌ.

فَقَوْمٌ هذا اعتقادهم في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما فيهم آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم أيصح بعد ذلك أن يُرموا بالنصب ومعاداة آل البيت؟ هؤلاء الصحابة الكرام، وأئمة أهل السنة عمومًا الذين يحبون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويثنون عليهم، ويترضون عليهم، ويعرفون لهم حقهم، ولا يقعون في واحد منهم بحال.

والرافضة هم الذين ناصبوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم العداءَ، بل وقالوا بكفرهم وارتدادهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم عَدَا قلة منهم تُعد على الأصابع.

هؤلاء الرافضة كفروا سائر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينج من تكفيرهم إلا النذر اليسير جدًا، فكيف بعد ذلك يقولون في قوم ترضَوْا عن جميع الأصحاب، وأحبوا جميع الأصحاب، يقولون عنهم بأنهم نواصب أو ناصبة، أو يبغضون آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم إن هذا والله لهو الباطلُ بعينه.

أيضًا من الألقاب: العامة والجمهور، والعامة خلاف الخاصة، وهذا اللقب فرض الرافضة إطلاقه على أهل السنة، فيجعلون أنفسهم الخاصة للمؤمنين، ويعدون أهل السنة عامة، لا خَلاقَ لهم، بل هم عندهم: كُفَّارٌ، ونَجَسٌ، لا تَحِلُّ ذبائحُهم، وتُستباحُ دماؤُهم، وأموالُهم.

وهذه بعض نصوص القوم من كتبهم، توضح في جلاء إطلاقهم لقب العامة على أهل السنة:

نقل الخنساري في كتاب: (روضات الجنات) عن صاحب: (معالم العلماء) أنه قال في ترجمة أبي نُعيم: الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني «عامي» إلا أنه له منقبة الطاهرين، ومرتبة الطيبين. كما نقل عن محمد حسين الخاتون أبادي قوله: وممن اطلعت على تشيعه من مشاهير علماء «العامة»، هو الحافظ أبو نعيم، وهو يريد بقوله: «عامي» و«عامة»: أنه من أهل السنة.

ويقول الدكتور الصباغ: ولو أردنا أن نناقش القائلين بهذه التسمية، ونسألهم عن مسوغات إطلاق مثل هذا اللقب على مَن كان متبعًا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأعياهم الجواب، والحق: أن هذه التسمية بهم ألصق؛ لأن العامي هو الذي يُعطِّل عقله، ويصدق كل ما يقال له، ولو كان مما يصادم الحس كما تجد في أقوالهم التي يدعون بها العصمة لغير الأنبياء، وزعمهم أن هناك باطنًا للنصوص الدينية غير ظاهرها، وأن هذا الباطن لا يعرفه إلا أئمتهم، إن هذا وأمثاله من العقائد والسلوك هو الذي يجعل المتصف به جديرًا بأن يدعى عاميًا.

وأما لقب الجمهور، فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -عن الرافضة: أنهم يسمون أهل السنة الجمهور، والجمهور في اللغة: الرمل الكثير المتراكم، وجمهور كل شيء: معظمه، وجمهور الناس: جلهم، والمراد به - أي: بإطلاق لقب الجمهور في اصطلاح الرافضة - عامة الناس، وهم غير الأعيان والمتميزين فيهم، فهو بمعنى العامة عندهم، ومرادف له، فالمراد أيضًا بلقب الجمهور تنقيص قَدْر أهل السنة والجماعة في ذلك، وأن جمهورهم كعامة الناس، ليس عندهم شيء من العلم أو الفقه أو غير ذلك.

إن أهل السنة والجماعة هُم أهلُ العلم والفضل والخير أينما حَلُّوا، وأينما كَانُوا، فنبزهم بالألقَاب الشنيعة الباطلة كلفظ: «المشبهة» أو «المجسمة» - مثلًا - أو أنهم يقال عنهم: بأنهم «مجبرة» كما ذكرتْ ذلك القدرية والمعتزلة، أو «نقصانية» و«مخالفة» و«شُكاك» كما ورد ذلك عن المرجئة، أو «ناصبة» و«عامة» و«جمهور» كما ذكرت ذلك الرافضة، كُلُّ هَذَا كَلامٌ بَاطِلٌ.

وهذه الفرق المنحرفة المخالفة لأهل السنة والجماعة، هم أولى وأحق بهذه الألقاب، فهي تليق بهم؛ لأنهم لم ولن يصلوا إلى واحد فقط من أهل السنة والجماعة؛ لما هم عليه من حق وخير وفضل.

نبز أهل السنة بلقب: «حشوية» والرد عليهم:

هذا اللقب من أشنع الألقاب التي نبزهم بها مخالفوهم، وهو بسكون الشين، من الحشو، فيقال: حشْوية، وهو أن يودع الشيء وعاءً

باستقصاء، يقال: حشوته، أحشوه، حشوًا، ويقال: فلان من حشوة بني فلان، أي: من رذالهم.

وهو في اصطلاح من أطلقه يراد به أحد المعاني الآتية:

الأول: يراد به العامة، الذين هم حشو الناس ورذالتهم وجمهورهم، وهم غير الأعيان والمتميزين، وهم عند الشيعة والروافض: السواد الأعظم من هذه الأمة، كما جاء في (فرق الشيعة) للنوبختي؛ حيث نبز كل من لم يقل بإمامة علي رضي الله عنه بعد النبي صلى الله عليه وسلم بأنه من أهل الحشو.

وفي ذلك يقول: فلما قُتل عليٌّ رضي الله عنه التقت الفرقة التي كانت معه والفرقة التي كانت مع طلحة والزبير وعائشة، رضي الله عنهم أجمعين، فصاروا فرقة واحدة مع معاوية بن أبي سفيان، إلا القليل منهم من شيعته ومن قال بإمامته بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وهم السواد الأعظم وأهل الحشو وأتباع الملوك وأعوان كل من غلب، أعني: الذين التقوا مع معاوية.

الثاني: أن هذا اللقب يراد به رواة الأحاديث من غير تمييز لصحيحها من سقيمها. قال ابن الوزير: فإن الحشوية إنما سموا بذلك؛ لأنهم يحشون الأحاديث التي لا أصل لها في الأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أي: يدخلونها فيها وليست منها.

ونقل عن صاحب كتاب (ضياء العلوم) قوله: إن الحشوية سموا بذلك؛ لكثرة قبولهم الأخبار من غير إنكار.

وقد بين ابن الوزير براءة أهل الحديث والسنة من هذا اللقب، وهو الصواب حقًا، أنهم برآء من ذلك؛ ولذلك قال ابن الوزير - رحمه الله -: أكثر عامة المسلمين لا يدرون من الحشوية، ولا يعرفون أن هذه النسبة غير مرضية، ومن كان له أدنى تمييز عرف أن نقاد الحديث وأئمة الأثر هم أعداء الحشوية وأكره الناس لهذه الطائفة الغوية.

الثالث: هو معنى التجسيم، كما نقل التهانوني عن السبكي، أنهم سموا بذلك؛ لأنهم مجسمة، أو هم هم، يعني: هم المجسمة، والجسم حشو.

ونسب ابن القيم رحمه الله لجهلة الجهمية أنهم لقبوا أهل السنة بذلك؛ لأنهم - بزعمهم - جعلوا ربهم حشو هذا الكون؛ بإثباتهم له صفة الفوقية والاستواء وأنه في السماء.

فهذه المعاني الثلاثة أو أحدها، هي المسوغات التي اعتبرها مخالفو أهل السنة وهم ينبزونهم بهذا اللقب الجائر.

نماذج لفرق نبزت أهل السنة بهذا اللقب - أي: لقب الحشوية - وذكر بعض الطوائف والفرق التي رمتهم بذلك:

ومن هذه الفرق المعتزلة: وأول مَن تولى كبر ذلك هم هؤلاء القوم، وقد عُرف عنهم أنهم أدخلوا عقولهم في مسائل الدين، وتكلموا على حسب ما تمليه أهواؤهم فيه، وأول من عُرف أنه تكلم في الإسلام بهذا اللفظ، عمرو بن عبيد.

وعمرو بن عبيد هذا هو رئيس المعتزلة وفقيههم وعابدهم، وقد ذكر كلامًا شديدًا عن الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وذلك لما ذُكر له عن ابن عمر شيء يخالف قوله؛ قال: كان ابن عمر حشويًا.

وقال ابن العماد في ترجمة عمرو بن عبيد هذا: وكانت له جرأة؛ فإنه قال عن ابن عمر: هو حشوي. قال: فانظر هذه الجرأة والافتراء، عامله الله بعدله.

وقد ظل المعتزلة يتوارثون نبز أهل السنة والحديث بلقب الحشوية في مؤلفاتهم ومقالاتهم، فها هو القاضي عبد الجبار، مؤلف أهم مصنفات المعتزلة التي وصلت إلينا بعد كتاب (الانتصار) للخياط، يصم أهل السنة بهذا اللقب كلما وجد فرصة مناسبة لذلك، وقد لقب الأشاعرةُ أيضًا أهل السنة بهذا اللقب؛ لأن الأشاعرة تلقوا هذه التركة عن المعتزلة، وهم يتابعونهم على ما درجوا عليه من نَبْز أهل السنة والأثر بهذا اللقب الجائر، وهذه ثلة من أقوالهم في ذلك:

يقول أبو المعالي الجويني - رحمه الله -: وذهبت الكرامية وبعض الحشوية، إلى أن الباري - تعالى عن قولهم - متحيز مختص بجهة فوق، وقصد بالحشوية: من أثبت الفوقية لله عز وجل وهم أهل السنة والحديث - كما أشار المحقق إلى ذلك في الحاشية - وإن كان أهل السنة والحديث لم ينطقوا بلفظ التحيز والجهة نفيًا ولا إثباتًا - كما هو منهجهم - وإنما أثبتوا لله - تبارك وتعالى - ما

أثبته لنفس من الفوقية.

وهذا الإمام الغزالي - رحمه الله - يجعل من أثبت رؤية الله عز وجل في جهة من الحشوية أيضًا، ولا شك أن رؤية المؤمنين لربهم في الدار الآخرة ثابتة بالقرآن الكريم وبسنة النبي صلى الله عليه وسلم فكيف ينبز من قال بهذه الصفة التي أثبتها رب العالمين سبحانه لنفسه؟!

أيضًا الخوارج لقبوا أهل السنة بهذا اللقب، وقد نسب ذلك إليهم الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله تبارك وتعالى - حيث قال في كتابه (السنة) في معرض حديثه عما أحدثه أهل الأهواء والبدع والخلاف من أسماء شنيعة قبيحة سموا بها أهل السنة، فقال: وأما الخوارج فيسمون أهل السنة نابتة وحشوية.

وللرد على هؤلاء جميعًا نقول:

أولًا: إن هذا اللقب - أي: لقب حشوية - لقب مبتدع ما أنزل الله به من سلطان؛ فليس هو في كتاب الله ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نطق به أحد من سلف الأمة وأئمتها نفيًا ولا إثباتًا؛ فالذم به ذم للناس بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان، بل هو من قبيل التنابز بالألقاب المنهي عنه.

ثانيًا: إن الطائفة إنما تتميز باسم رجالها أو بنَعْت أحوالها؛ فالأول كما يقال مثلًا: الجهمية، هذه الجهمية طائفة تميزت باسم رجالها ورجل هذه الطائفة هو الجهم بن صفوان، وقد نسبت الجهمية إليه، والكلابية قيل لهم: «كلابية» نسبة لابن كلاب وهو عبد الله بن سعيد بن قطان بن كلاب. والثاني كما يقال ألا وهو نعت الأحوال الرافضة، يعني: أنهم سموا رافضة لرفضهم إمامة زيد بن علي رضي الله عنه وسميت القدرية قدرية لحالها الذي كانت عليه: ألا وهو قولهم بالقدر وأن الله - تبارك وتعالى - لم يخلق أفعال العباد، والمرجئة سموا مرجئة أيضًا للصفة أو الحالة التي كانوا عليها: ألا وهو قولهم بالإرجاء في الإيمان، أي: تأخير الأعمال وأنها لا تدخل في الإيمان، أما لفظ الحشوية؛ فليس فيه ما يدل على شخص معين ولا على مقالة معينة.

ثالثًا: أنتم نبزتم أهل السنة بهذا اللقب لأنهم - بزعمكم - يروون الأحاديث بلا تمييز ولا إنكار؛ وهذا خلاف الواقع، فإن أهل الحديث والسنة هم الذين اختصوا بالذب عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم وهم الذين ميزوا صحيحها من سقيمها، ثم إنكم أيها المخالفون لهم أحق الناس بهذا اللقب؛ لأنكم تستشهدون لمذهبكم بما يؤيده من الأحاديث وإن كان ضعيفًا أو موضوعًا عند أهل الفن؛ ولأنكم تحشون أقوالكم ومصنفاتكم بالكلام الذي لا تعرف صحته بل يعرف بطلانه؛ لمخالفته لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

رابعًا: أما معنى التجسيم الذي لَبَّستم أهل السنة بالحشو لأجله؛ فإنه ليس في قول أهل السنة تجسيم؛ لأنهم إنما أثبتوا لله ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الصفات مع نفي المشابهة والمماثلة للمخلوقات، ثم إن لفظ التجسيم عندهم من الألفاظ المبتدعة فلم ينطقوا به نفيًا ولا إثباتًا؛ فهذا اللفظ من الألفاظ الحادثة، من الألفاظ التي لم تشرع؛ لأنها لم ترد في الكتاب والسنة، ولم يتكلم بها أحد من أئمة السلف؛ فكيف ينسب إليهم إذًا، أو ينسبون إلى قول أو صفة لم يذهبوا إليها ولم يقولوا بها؟!

خامسًا: ينبغي أن ينظر في الموسومين بهذا الاسم وفي الواسمين لهم به أيهما أحق؟! وهذه مسألة مهمة؛ لأن النظر بتمعن في ذلك نجد أن الواسمين لأهل السنة بهذا الاسم هم أحق الناس به، وقد علم أن هذا الاسم مما اشتهر عن النفاة ممن هم مظنة الزندقة، كما ذكر العلماء كأبي حاتم وغيره أن علامة الزنادقة: تسميتهم لأهل الحديث حشوية.

ويكفي أن نعرف أن أول الواسمين به هو عمرو بن عبيد، زعيم المعتزلة - كما تقدم - وأن أول الموسومين به هو عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه الصحابي الجليل، ثم أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والجماعة - رحمة الله تعالى عليه - ونحن إذا عرفنا ذلك نعلم منزلة الواسم والموسوم إذًا.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

مثل عالم السوء الذي يعمل بخلاف علمه

ففي هذا المقال نتحدث عن مثل آخر من الأمثال في القرآن وهو من سورة الأعراف الآيات الخامسة والسبعون بعد المائة والسادسة والسبعون بعد المائة والسابعة والسبعون بعد المائة.

اعداد/ **مصطفى البصراتي**

قوله تعالى: « وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ » (الأعراف ١٧٥-١٧٧).

المعنى الإجمالي:

«شبّه سبحانه من أتاه كتابه وعلمه العلم الذي منعه غيره فترك العمل به واتبع هواه وآثر سخط الله على رضاه، ودنياه على آخرته، والمخلوق على الخالق؛ بالكلب الذي هو من أخبث الحيوانات وأوضعها قدرًا وأخسها نفسًا وهمته لا تتعدى بطنه وأشدها شرهًا وحرصًا. ومن حرصه أنه لا يمشي إلا وخطمُه في الأرض، يتشمم ويتروح حرصًا وشرهًا ولا يزال يشم دبره دون سائر أجزاءه، وإذا رميت له بحجر رجع إليه ليعضه من فرط نهمته وهو من أمهنَ الحيوانات وأحملها للهوان وأرضاها بالدنايا، والجيف القذرة المروحة أحب إليه من اللحم الطري، والعذرة أحب إليه من الحلوى، وإذا ظفر بميتة تكفي مائة كلب، لم يدع كلبًا يتناول معه منها شيئًا إلا عز عليه وقهره لحرصه وبخله وشرهه، ومن عجيب أمرِه وحرصه أنه إذا رأى ذا هيئة رثة وثياب دنية وحال رذية، نبحه وحمل عليه كأنه يتصور مشاركتَه له ومنازعته في قوته، وإذا رأى ذا هيئة حسنة وثياب جميلة وضع له خطمه بالأرض، وخضَع له ولم يرفعَ إليه رأسه !!

تشبيه من آثر الدنيا وعاجلها على الله والدار الآخرة مع وفور علمه بالكلب في حال لهثه سرَ بديع، وهو أن هذا الذي حاله ما ذكره اللَّهَ من انسلاخه من آياته واتباعه هواه إنما كان لشدة لهفه على الدنيا لانقطاع قلبِه عن الله سبحانَه وتَعالى والدار الآخرَة، فَهو شديد اللهف عليها ولهفه نظير لهف الكلب الدائم في حال إزعاجه وتركه، واللهف واللهث شقيقان وأخوان في اللفظ والمعنى.

قال ابن جريج: الكلب منقطع الفؤاد، لا فؤاد له، إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، فهو مثل الذي يترك الهدى لا فؤاد له، إنما فؤاده منقطع، قال ابن القيم: ومراده بانقطاع فؤاده أنه ليس له فؤاد يحمله على الصبر وترك اللهث، وهكذا الذي انسلخ من آيات الله لم يبقى معه فؤادٌ يحمله عَلى الصبر عن الدنيا وترك اللهف عليها، فهذا يلهف على الدنيا من قلة صبره عنها، وهذا يلهث من قلة صبره عن الماء، فالكلب من أقل الحيوانات صبرًا عن الماء، وإذا عطش أكل الثرى من العطش وإن كان صبر على

الجوع، وعلى كل حالٍ فهو من أشد الحيوانات لهثًا، يلهث قائمًا وقاعدًا وماشيًا وواقفًا، ذلك لشدة حرصه، فحرارة الحرص في كبده توجب له دوام اللهث، فهكذا مشبهه شدة حرارة الشهوة في قلبه توجب له دوام اللهث، فإن حملت عليه الموعظة والنصيحة فهو يلهف، وإن تركته ولم تعظه فهو يلهف.

قال مجاهد: وذلك مثل الذي أوتي الكتاب ولم يعمل به». (قاله ابن القيم في الجامع لأمثال القرآن صـ١٠٤).

المعنى التفصيلي

(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ): أعقب ما يفيد أن التوحيد جعل في الفطرة بذكر حالة اهتداء بعض الناس إلى نبذ الشرك في مبدأ أمره، ثم تعرض وساوس الشيطان له لتحسين الشرك.

ومناسبتها للتي قبلها إشارة العبرة من حال أحد الذين أخذ الله عليهم العهد بالتوحيد والامتثال لأمر الله، وأمده الله بعلم يعينه على الوفاء بما عاهد الله عليه في الفطرة ثم لم ينفعه ذلك كله حين لم يقدر الله له الهدى المستمر.

وشأن القصص المفتتحة بقوله (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ) أن يقصد منها وعظ المشركين بصاحب القصة بقرينة قوله (ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ) إلخ، ويحصل من ذلك أيضًا تعليم المثل قوله، (واتل عليهم نبأ نوح - واتل عليهم نبأ إبراهيم - نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق)، ونظائر ذلك، فضمير (عَلَيْهِمْ) راجع إلى المشركين الذين وجهت إليهم العبر والمواعظ من أول هذه السورة وقصت عليهم قصص الأمم مع رسلهم على أن توجيه ضمائر الغيبة إليهم أسلوب متبع في مواقع كثيرة من القرآن.

ومناسبة فعل التلاوة لهم في قوله (وَاتْلُ) أنهم قوم تغلب عليهم الأمية، فأراد الله أن يبلغ إليهم من التعليم ما يساوون به حال أهل الكتاب في التلاوة، فالضمير المجرور بـ "على" عائد إلى معلوم بالسياق وهم المشركون، وكثيرًا ما يجيئ ضمير جمع الغائب في القرآن مرادًا به المشركون، كقوله (عم يتساءلون).

أما عن المعني به في الآية، فقيل: إنه أمية بن أبي الصلت الثقفي، وروي هذا عن عبد الله بن عمرو بن العاص بأسانيد كثيرة عند الطبري وعن زيد بن أسلم، وقال القرطبي في التفسير هو الأشهر وهو قول الأكثر، ذلك أن أمية بن أبي الصلت الثقفي كان ممن أراد اتباع دين غير الشرك طالبًا دين الحق، ونظر في التوراة الإنجيل فلم يرى النجاة في اليهودية ولا النصرانية، وتزاهد وتوخى الحنيفية دين إبراهيم، وأخبر أن الله يبعث نبيًا في العرب، فطمع أن يكون هو، ورفض عبادة الأصنام وحرم الخمر.

فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم أسف أن لم يكن هو الرسول المبعوث في العرب وقد اتفق أن خرج إلى البحرين قبل البعثة وأقام هناك ثمان سنوات، ثم رجع إلى مكة فوجد البعثة وتردد في الإسلام، ثم خرج إلى الشام ورجع بعد وقعة بدر فلم يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم حسدًا ورثى من قُتل من المشركين يوم بدر وخرج إلى الطائف بلاد قومه فمات كافرًا، وقد قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: كاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم.

ومعنى (آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا) أن الله ألهم أمية كراهية الشرك وألقى في نفسه طلب الحق ويسر له قراءة كتب الأنبياء وحبب إليه الحنيفية، فلما انفتح له باب الهدى وأشرف نور الدعوة المحمدية، كابر وحسد وأعرض عن الإسلام، فلا جرم أن كانت حالته أنه انسلخ عن جميع ما يُسر له ولم ينتفع به عند إبان الانتفاع فكان الشيطان هو الذي صرفه عن الهدى فكان من الغاوين إذ مات على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم.

وقيل نزلت في أبي عامر بن صيفي الراهب واسمه النعمان الخزرجي، وهو قول سعيد بن المسيب، وذهب كثير من المفسرين إلى أنها نزلت في رجل من الكنعانيين وكان في زمن موسى عليه السلام يقال له بلعام بن باعور، فخلطوا وغيروها واختلفوا فيها، والتحقيق أن بلعام هذا كان من صالحي أهل مدين وعرافيهم في زمن مرور بني إسرائيل على

أرض (مؤاب)، ولكنه لم يتغير عن حال الصلاح، فلا ينبغي الالتفات إلى هذا القول لاضطرابه واختلاطه.

والإيتاء هنا مستعار للإطلاع وتيسير العلم، مثل قوله (وآتاه الله العلم والحكمة).

والآيات (دلائل الوحدانية). (التحرير والتنوير للطاهر لابن عاشور ٥/١٧٣).

(فَانسَلَخَ مِنْهَا) كفر بها وتركها وراء ظهره مبتعدًا عنها، وقال ابن عباس: نُزع منه العلم، والانسلاخ هو التعري من الشيء.

(فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ) أي عند انسلاخه عن الآيات، أي لحقه فأدركه وصار قرينًا له أو فأتبعه خطواته وصيره تابعًا لنفسه، وقيل اتبعه بمعنى استتبعه.

(فَكَانَ مِنْ الْغَاوِينَ) أي المتمكنين في الغواية وهم الكفار. (فتح البيان لصديق حسن القنوجي ٢/٦١٧).

وقوله تعالى: (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا) أفاد أن تلك الآيات شأنها أن تكون سببًا للهداية والتزكية، لو شاء الله له التوفيق ووعصمه من كيد الشيطان وفتنته فلم ينسلخ عنها، وهذه عبرة للموفقين ليعلموا فضل الله عليهم في توفيقهم، فالمعنى: ولو شئنا لزاد في العمل بما آتيناه من الآيات فلرفعه الله بعمله.

والرفعة مستعارة لكمال النفس وذكائها؛ لأن الصفات الحميدة تخيل صاحبها مرتفعًا على من دونه، أي لو شئنا لاكتسب بعمله بالآيات فضلاً وذكاءً وتميزًا بالفضل، فمعنى "لرفعناه" ليسرنا له العمل بها الذي يشرف به.

وقوله (وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ) أي ركن ومال إلى الأرض، والكلام تمثيل لحال المتلبس بالنقائص والكفر بعد الإيمان والتقوى بحال من كان مرتفعًا عن الأرض، فنزل من اعتلاء إلى الأسفل، فبذكر الأرض علم أن الإخلاد هنا ركون إلى السُفل، أي تلبس بالنقائص والمفاسد، وأصل الإخلاد: اللزوم، يقال أخلد فلان بالمكان، إذا قام به ولزمه، والمعنى أنه مال وسكن إلى الدنيا ورغب فيها ورضي بها واطمئن وآثرها على الآخرة.

ومعنى (إِلَى الْأَرْضِ) هي هنا عبارة عن الدنيا لأن بها المفاوز والقفار والمدن والضياع والمعادن والنبات ومنها يُستخرج ما يُعاش به في الدنيا، فالدنيا كلها هي الأرض.

وقوله (وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) أي ما يهواه وترك العمل بما يقتضيه العلم الذي علمه الله وهو حطام الدنيا، وقيل كان هواه مع الكفار، وهذه الآية من أشد الآيات على العلماء الذين يريدون بعلمهم الدنيا وشهوات النفس ويتبعون الهوى.

وقوله تعالى (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ) قال ابن عاشور في التحرير والتنوير (٥/١٧٧): وهذا التمثيل من مبتكرات القرآن، فإن اللهث حالة تؤذن بحرج الكلب من جراء عثر تنفسه عن اضطراب باطنه إن لم يكن لاضطراب باطنه سبب آت من غيره، فمعنى (إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ) أي إن تطارده وتهاجمه، مشتق من الحمل الذي هو الهجوم على أحد لقتاله، يقال حمل فلان على القوم حملة شعواء أو حملة منكرة، وقد أغفل المفسرون توضيحه وأغفل الراغب في مفردات القرآن هذا المعنى لهذا الفعل.

فهذا تشبيه تمثيل مركب منتزعةٌ فيه الحالة المشبهة والحالة المشبه بها، فهذا التمثيل بأن يشبه الضال بالكلب، ويشبه شقاؤه واضطراب أمره في مدة البحث عن الدين بلهث الكلب في حالة تركه في دعة، تشبيه المعقول بالمحسوس، ويشبه شقاؤه في إعراضه عن الدين الحق عند مجيئه بلهث الكلب في حالة طرده وضربه تشبيه المعقول بالمحسوس.

والكلب حيوان من ذوات الأربع ذو أنياب وأظفار كثير النبح في الليل قليل النوم فيه كثير النوم في النهار يألف من يعاشره ويحرس مكانه من الطارقين الذين لا يألفهم ويحرس الأنعام التي يعاشرها ويعدو على الذئاب ويقبل التعليم ويلهث إذا أتعب أو اشتد عليه الحر، ويلهث بدون ذلك لأن في خلقته ضيقًا في مجاري النفس يرتاح له باللهث، واللهث سرعة التنفس مع امتداد اللسان لضيق النفس.

قال صديق حسن القنوجي في فتح البيان: والمعنى مثله كمثل الكلب حال كونه متصفًا بهذه الصفة؛ أي إن هذا المنسلخ عن الآيات لا يرعوي عن المعصية في جميع أحواله سواءَ وعظه الواعظ وذكره المذكر وزجره الزاجر أو

لم يقع شيء من ذلك.

قال القتيبي: كل شيء يلهث فإنما يلهث من إعياء أو عطش إلا الكلب فإنه يلهث في حال الكلال وحال الراحة وحال المرض وحال الصحة وحال الري وحال العطش فضربه الله مثلاً لمن كذب بآياته فقال إن وعظته ضل وإن تركته ضل، فهو كالكلب إن تركته لهث وإن طردته لهث، كقوله تعالى (وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ) (الأعراف ١٩٣).

وقوله تعالى (ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا)، (ذلكَ) أي التمثيلَ بتلك الحالة الخسيسة، (مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) من اليهود بعد أن علموا بها وعرفوها فحرفوا وبدلوا وكتموا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبوا بها، وقيل: عم هذا المثل جميع من كذب بآيات الله وجحدها وهو الحق لأن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

(فَاقْصُصْ الْقَصَصَ) الذي هو صفة الرجل المنسلخ عن الآيات عليهم، فإن مثل المذكور كمثل هؤلاء القوم المكذبين من اليهود الذين نقص عليهم.

(لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) في ذلك ويُعملون فيه أفهامهم فينزجرون عن الضلال ويقبلون على الصواب، وقيل هذا المثل لكفار مكة ولا وجه لتخصيصه لفرد دون فرد والأولى هو العموم.

(ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون)

(ساء مثلاً) هذه الجملة متضمنه لبيان حال هؤلاء القوم البالغة في القبح إلى الغاية، يقال ساء الشئ، قبح، فهو لازم، وساءه يسوءه مساءة، فهو متعد وهو من أفعال الذم كبئس والمخصوص بالذم.

(القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون) أي ما ظلموا بالتكذيب إلا أنفسهم، لا يتعداها ظلمهم إلى غيرها ولا يتجاوزها، وقيل المعنى أنهم جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم أنفسهم وهذا أفيد. (فتح البيان لصديق حسن القنوجي ٦١٩/٢).

فوائد الآيات

١- قوله (آتيناه آياتنا)، فأخبر سبحانه أنه هو الذي آتاه آياته، فإنها نعمة والله هو الذي أنعم بها عليه فأضافها إلى نفسه ثم قال: (فانسلخ منها) أي خرج منها كما تنسلخ الحية من جلدها، وفارقها فراق الجلد ينسلخ عن اللحم، ولم يقل فسلخناه منها، لأنه هو الذي تسبب إلى انسلاخه منها باتباعه هواه.

٢- ومنها قوله تعالى (فأتبعه الشيطان) أي لحقه وأدركه كما قال سبحانه (فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ) (الشعراء ٦٠). وكان محفوظا محروسًا بآيات الله محمي الجانب بها من الشيطان، لا ينال منه شيئًا إلا على غرة وخطفة، فلما انسلخ من آيات الله ظفر به الشيطان ظفر الأسد بفريسته، فكان من الغاوين العاملين بخلاف علمهم الذين يعرفون الحق ويعملون بخلافه كعلماء السوء.

٣- ومنها أنه سبحانه وتعالى قال (ولو شئنا لرفعناه بها)، فأخبر سبحانه أن الرفعة عنده ليست بمجرد العلم، وإنما هي باتباع الحق وإيثاره وقصد مرضاة الله، فإن هذا كان من أعلم أهل زمانه ولم يرفعه الله بعلمه ولم ينفعه به، فنعوذ بالله من علم لا ينفع، وأخبر سبحانه أنه هو الذي يرفع عبده بما شاء بما آتاه من العلم وإن لم يرفعه الله فهو موضوع لا يرفع أحدًا به رأسًا، فإن الخافض الرافع هو الله سبحانه وتعالى، خفضه ولم يرفعه، والمعنى: لو شئناه فضلناه وشرفناه ورفعنا قدره ومنزلته بالآيات التي آتيناها. (هذه الفوائد الثلاثة لابن القيم في الجامع لأمثال القرآن صـ ١٠٧).

٤- ومنها أن المَعْنِي بالآية فارق الإيمان مفارقة من لا يعود إليه أبدًا، فإنه انسلخ من الآيات بالجمله كما تنسلخ الحية من قشرها ولو بقي معه منها شيء لم ينسلخ منها.

٥- أن الشيطان أدركه ولحقه بحيث ظفر به وافترسه، ولهذا قال (فأتبعه الشيطان) ولم يقل (تبعه)، فإن في معنى أتبعه، أدركه ولحقه، وهو أبلغ من (تبعه) لفظًا ومعنى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

التحذير من الفُرقة

قال تعالى: « وَلَا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ » (آل عمران: ١٠٥).

من دعائه صلى الله عليه وسلم

عن أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه قال: قلت لرسول الله صلَى الله عليه وسلَم، علَمني دعاءً أدعو به في صلاتي، قال: «قل اللهمّ إنّي ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذّنوب إلّا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنّك أنت الغفور الرّحيم» (صحيح البخاري).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- أنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «ثلاثة لا ينظر الله- عزّ وجلّ- إليهم يوم القيامة: العاقّ لوالديه، والمرأة المترجّلة، والدّيّوث. وثلاثة لا يدخلون الجنّة: العاقّ لوالديه، والمدمن على الخمر، والمنّان بما أعطى». (رواه النسائي ٢٥٦٢ وصححه الألباني).

من دلائل النبوة

عن جابر بن سمرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لتفتحنَّ عصابة (أي: جماعة) من المسلمين كنز آل كسرى الذي في الأبيض» (رواه مسلم ٢٩١٩).

قلت: أي بلاد فارس، التي هي إيران الشيعية الآن، أعادها الله إلى السنة.

من فضائل الصحابة

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أهل الدرجات العلى يراهم من أسفل منهم كما يُرى الكوكب الطالع في الأفق من آفاق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما». (سنن ابن ماجه ٩٦ وصححه الألباني).

من حكمة الشعر

تحذير للكتاب والصحفيين:

وما من كاتب إلّا ستبقى
كتابته وإن فنيت يداه
فلا تكتب بكفّك غير شيء
يسرّك في القيامة أن تراه

(العقد الفريد)

من أقوال السلف

عن الحسن البصريّ قال: «إنّما هلك من كان قبلكم حين تشعّبت بهم السّبل، وحادوا عن الطّريق فتركوا الآثار وقالوا في الدّين برأيهم فضلّوا وأضلّوا» (الاعتصام للشاطبي).

إعداد/ علاء خضر

حكم ومواعظ

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «توشك القرى أن تخرب وهي عامرة». قيل: وكيف تخرب وهي عامرة؟ قال: «إذا علا فجّارها أبرارها، وساد القبيلةَ منافقوها».

الغاية من طلب العلم

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كفاك من علم الدين أن تعرف ما لا يسع جهله، وكفاك من علم الأدب أن تروي الشاهد والمثل». (العقد الفريد).

من فضل العلماء

عن الشعبي قال: ركب زيد بن ثابت، فأخذ عبد الله بن عباس بركابه؛ فقال: «لا تفعل يا ابن عمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم». فقال: «هكذا أُمرنا أن نفعل بعلمائنا». (سير أعلام النبلاء).

من معاني الأحاديث

(تمم): فيه «أعوذ بكلمات الله التامات» إنما وصف كلامه بالتمام؛ لأنه لا يجوز أن يكون في شيء من كلامه نقص أو عيب كما يكون في كلام الناس. وقيل: معنى التمام هاهنا أنها تنفع المتعوذ بها وتحفظه من الآفات وتكفيه. (النهاية في الغريب والأثر)

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

من سره أن يحيا حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن غرسها ربي، فليوال عليًا من بعدي، وليوالِ وليه، وليقتدِ بالأئمة من بعدي، فإنهم عترتي، خلقوا من طينتي، رزقوا فهمًا وعلمًا، وويل للمكذبين بفضلهم من أمتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي». موضوع من وضع الشيعة. (السلسلة الضعيفة)

خلق سيء فاحذره

قال علي رضي الله عنه: «لا راحة لحسود، ولا إخاء لملول، ولا محبّ لسّيء الخلق».

(العقد الفريد).

خلق حسن فالزمه

قيل لقيس بن عاصم: ما الحِلم؟ قال: أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمّن ظلمك. (العقد الفريد).

دراسات شرعية

أثر السياق في فهم النص

(الحلقة ٧٧)

تنوع قرائن السياق وأثره على الأحكام الفقهية

الطلاق في الحيض

الحلقة الثالثة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

مايزال حديثنا متصلاً عن النظر في أدلة الجمهور القائلين بوقوع الطلاق أثناء الحيض، وقد وصلنا إلى الدليل الرابع. وهو أن ابن أبي ذئب ذكر أن نافعًا أخبره أن ابن عمر طلق امرأته وهي حائض، فسأل عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال: «مره فليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر... وهي واحدة»، ورأينا بعضًا من كلام أهل العلم في توجيه «وهي واحدة» ونستأنف البحث بإذن الله تعالى.

إعداد/ **متولي البراجيلي**

يقول الشيخ أحمد شاكر – يرحمه الله – عن حديث نافع الذي فيه «وهي واحدة» بعد أن ساق كلام الإمامين ابن حزم وابن القيم، – يرحمهما الله : أن الكلمة يحتمل ألا تكون من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، أي كأنها مدرجة من الراوي، أو يتأولاها بتأول غير جيد. قال: والصحيح الواضح أن قوله «هي واحدة» إنما يراد به الطلقة التي ستكون في الطهر الثاني في قُبل العدة؛ لأنها أقرب مذكور إلى الضمير، بل إنه لم يذكر غيرها في اللفظ النبوي الكريم، وطلقة الحيض أشير إليها فيه فقط.

ويكون معنى قوله: «هي واحدة» إن طلق كما أمر كانت طلقة واحدة ولا تكون طلقة ثانية؛ لعدم الاعتداد بالأولى التي كانت لغير العدة، فتكون هذه الرواية مؤيدة لرواية أبي الزبير (ستأتي الرواية) (نظام الطلاق في الإسلام صـ٢٢).

قلت: هذا التوجيه ليس بقريب؛ لأن سؤال عمر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن واقعة طلاق ابن عمر، والجواب من النبي صلى الله عليه وسلم ينصبّ على الواقعة المسؤول عنها، ففي قوله صلى الله عليه وسلم في نهاية الحديث: «وهي واحدة» متوجه إلى واقعة الطلاق التي سئل عنها، وليس عن طلاق بعد المراجعة قد يقع أولا يقع. وأما قوله إن الضمير يعود إلى أقرب مذكور، نعم تلك هي القاعدة، كما توضحها الأمثلة التالية، قوله تعالى: (وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ) (الإسراء: ٢) فالمذكور في الآية: موسى عليه السلام، والكتاب،

إعمالا للقاعدة فالضمير في قوله تعالى: (وجعلناه) يعود على أقرب مذكور: وهو الكتاب قوله تعالى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ) (آل عمران:٥٩) فالمذكور في الآية عيسى وآدم عليهما السلام، إعمالا للقاعدة، يعود الضمير في قوله فقال ثم قال له، على آدم عليه السلام لأنه أقرب مذكور لكن قد لا يعود الضمير على أقرب مذكور لقرائن، كما في قوله تعالى: (وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ) (الزمر ٧٥)، ففي قوله تعالى (وقضي بينهم بالحق) الضمير هنا لا يعود على أقرب مذكور وهم الملائكة، بل يعود على العباد المذكورين قبل ذلك في الآيات، فيقضى بينهم بالعدل، أهل الجنة يساقون زمراً إلى الجنة، وأهل النار يساقون زمرا إليها.

فالقرينة الصارفة في الحديث عن عودة الضمير إلى أقرب مذكور « حتى تطهر » أن مدار السؤال عن طلقة وقعت في الحيض، فالإجابة تكون عن المسؤول عنه وليس عن أمر غير مسؤول عنه. وقد أخرج الإمام مسلم أن عبيد الله (أحد رواة الحديث عن نافع) قال: قلت لنافع: ما صنعت التطليقة؟ قال هي واحدة اعتد بها، ونافع هو راوي الحديث الذي فيه «وهي واحدة»، مما يبين أن الضمير يعود على طلقة ابن عمر في الحيض (صحيح مسلم ح ١٤٧١).

٥- أورد الحافظ ابن حجر - يرحمه الله - في الفتح: وعند الشافعي عن مسلم ابن خالد عن ابن جريج أنهم أرسلوا إلى نافع يسألونه: هل حسبت تطليقة ابن عمر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقال نعم: ولم يحكم عليه الحافظ بشيء (مسند الشافعي ١٩٣/١ فتح الباري ٣٥٥/٩).

وبالنظر في سند هذه الرواية: مسلم بن خالد المخزومي: ضعفه كثير من أهل العلم، وقال فيه الحافظ ابن حجر: فقيه صدوق كثير الأوهام (انظر تقريب التهذيب ٥٢٩/١. تهذيب التهذيب ١٢٨/١٠-١٣٠) فهو يعتد به في المتابعات والشواهد. وهو في هذا الحديث لم ينفرد به، بل جاء على وفق ما جاء عن نافع في احتساب تطليقة ابن عمر.

ابن جريج: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج: ثقة فقيه فاضل إلا أنه كان يدلس ويرسل (تقريب التهذيب ٣٦٣/١) قال عنه الدارقطني: شر التدليس تدليس ابن جريج، فإنه قبيح التدليس لا يدلس إلا فيما سمعه من مجروح (تعريف أهل التقديس صـ ٤١)، وقد حدث عن نافع وبذلك يندفع الإرسال.

أما تدليسه في هذه الرواية فمحتمل لأنه لم يذكر أنه سمع. إنما قال: إنهم أرسلوا. وعلى العموم فهذه الرواية جاءت مطابقة لما رواه الآخرون، وفيها الرد على من قال: إن تطليقة ابن عمر حسبت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، لقول نافع حين سئل: «هل حسبت تطليقة ابن عمر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم. فقال: نعم».

٦- في رواية سالم بن عبد الله بن عمر صرح فيها عن أبيه قوله: «فراجعتها وحسبت لها التطليقة» هذه الرواية أخرجها الإمام مسلم في الصحيح. وهذا الحديث نص صريح في المسألة، وقد جاء على لسان ابن عمر رضي الله عنهما، وهو أعرف بأمره من غيره فلماذا إذن لم يرفع الخلاف؟ من ناحية سنده، فهو مسلسل بالثقات (إسحاق بن منصور: ثقة ثبت. يزيد بن عبد ربه: ثقة. محمد بن حرب: ثقة. الزبيدي: ثقة ثبت. الزهري:

الإمام العلم الفقيه الحافظ)، والحديث في صحيح مسلم، وهو ما تلقته الأمة بالقبول كما تلقت صحيح البخاري.

بقي معنا المتن، وقد قال بعضهم بأن الحاسب للتطليقة هو ابن عمر أو عمر رضي الله عنهما، ولا حجة في أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجاب الحافظ ابن حجر عن ذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم هو الآمر بالمراجعة وهو المرشد لابن عمر فيما يفعل إذا أراد طلاقها بعد ذلك، وإذا أخبر ابن عمر أن الذي وقع منه حسبت عليه تطليقة كان احتمال أن يكون الذي حسبها عليه غير النبي صلى الله عليه وسلم بعيداً جداً... وكيف يتوهم أن ابن عمر يفعل في القصة شيئاً برأيه وهو ينقل أن النبي صلى الله عليه وسلم تغيظ من صنيعه، كيف لم يشاوره فيما يفعل في القصة المذكورة.... (انظر فتح الباري ٣٥٣/٩).

٧- وفي رواية للحديث:.... قال (عبد الله بن عمر) فقلت: يا رسول الله لو طلقتها ثلاثاً كان لي أن أراجعها؟ قال: إذاً بانت منك وكانت معصية. قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه على بن سعيد الرازي. قال الدارقطني: ليس بذاك وعظمه وغيره، وبقية رجاله ثقات (مجمع الزوائد/٣٣٦).

وفي لسان الميزان: قال الدارقطني: حدَّث بأحاديث لم يتابع عليها. وقال في نفسي منه وقد تكلم فيه أصحابنا بمصر، وأشار بيده، وقال: هو كذا كذا، ونفض بيده يقول: ليس بثقة (لسان الميزان ٢٣١/٤-٢٣٢).

فالحديث ضعيف ولو صح، لكان فيه الرد الصريح على من قال باحتمال أن من احتسب التطليقة هو ابن عمر أو عمر رضي الله عنهما.

٨- ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما: الطلاق في أربعة أوجه: وجهان حلال ووجهان حرام، فأما اللذان هما حلال، فأن يطلق الرجل امرأته طاهرًا من غير جماع أو يطلقها حاملاً مستبيناً حملها، وأما اللذان هما حرام، فأن يطلقها حائضًا أو يطلقها عند الجماع لا يدري اشتمل الرحم على ولد أم لا. قال الحافظ ابن حجر: الحديث موقوف (إتحاف المهرة ح ٨٤١٦).

والحديث أخرجه عبد الرزاق في المصنف ح ١٠٩٣٠، ١٠٩٥٠، والدارقطني في السنن ح ٣٨٩٠، ٣٩٩٠، والبيهقي في الصغرى ح ٢٦٥٨، والكبرى ١٤٩١٦ والحديث مداره على وهب بن نافع الصنعاني، ترجم له البخاري في التاريخ الكبير ترجمة ٢٥٦٦ وسكت عنه، وكذلك ابن أبي حاتم، ترجمة ١١٢ وسكت عنه، وذكره ابن حبان في الثقات ت ١١٤٥٥.

فوائد حديثية مهمة:

أ- لا يعد سكوت البخاري عن الراوي في التاريخ توثيقاً أو تجريحاً له، فهو على الاحتمال (مستور)، وقد ذكر ذلك غير واحد من أهل العلم، فقال الحافظ المزي في ترجمة عبد الكريم بن أبي المخارق، نقلاً عن الحافظ الأشبيلي:... بين مسلم جرحه في صدر كتابه، وأما البخاري فلم ينبهه من أمره على شيء، فدل على أنه على الاحتمال، لأنه قد قال في التاريخ: كل من لم أبين جرحه فهو على الاحتمال، وإذا قلت فيه نظر فلا يحتمل (تهذيب الكمال ٢٦٤/١٨).

ب- وكذلك سكوت ابن أبي حاتم عن الراوي، وقد بين منهجه فيمن سكت عنهم، فقال:.... على أنا قد ذكرنا أسامي كثيرة مهملة من الجرح والتعديل، كتبناها ليشتمل الكتاب على كل من روى عن العلم، رجاء وجود الجرح والتعديل فيهم، فنحن ملحقوها بهم من بعد إن شاء الله تعالى (الجرح والتعديل ٣٨/٢). وانظر رد الألباني على الغماري في السلسلة الضعيفة ٣٩/٣.

ج- ابن حبان يعد من المتساهلين في كتابه « الثقات » فهو عمد إلى جماعة من المجهولين فذكرهم في كتابه، وقد تعقبه أهل العلم كالحافظ ابن حجر فقال:.... وهذا الذي ذهب إليه ابن حبان من أن الرجل إذا انتفت جهالة عينه كان على العدالة إلى أن يتبين جرحه، مذهب عجيب، والجمهور على خلافه، وهذا هو مسلك ابن حبان في كتاب الثقات الذي ألفه (لسان الميزان ١٤/١)، وللتوسع في هذه الفوائد راجع رسالتي للماجستير: معالم منهج الشيخ أحمد شاكر في نقد الحديث).

وأجيب عن قول ابن عباس أنه لا حجة فيه، لأنه قول صحابي ليس بمرفوع، ومن المعلوم أن قول الصحابي له حكم الرفع بضوابط، منها: أن يكون لا مجال فيه للرأي والاجتهاد، وأنه لا يعرف عن الصحابي الأخذ من الإسرائيليات. وفي رواية ابن عباس التي نحن بصدد الكلام عنها، لا علاقة لها بالإسرائيليات؛ لأنها تتكلم عن مسألة شرعية من صميم شرعنا.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما أقوال الصحابة فإن انتشرت ولم تنكر في زمانهم فهي حجة عند جماهير العلماء، وإن تنازعوا رُدَّ ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول - صلى الله عليه وسلم - ولم يكن قول بعضهم حجة مع مخالفة بعضهم له باتفاق العلماء، وإن قال بعضهم قولا ولم يقل بعضهم بخلافه ولم ينتشر فهذا فيه نزاع، وجمهور العلماء يحتجون به كأبي حنيفة ومالك وأحمد في المشهور، وعند الشافعي في أحد قوليه» (مجموع الفتاوى ١٤/٢٠).

قلت: ولو صحت هذه الرواية عن ابن عباس فقد تكون في الحقيقة اجتهاداً من ابن عباس استنبطه من آيات وأحاديث الطلاق، ولو قلنا لها حكم الرفع، فلا حجة فيها للجمهور المجوزين للطلاق في الحيض، لأن العلماء أجمعوا على أن الطلاق البدعي (ومنه طلاق الحيض) حرام. ورواية ابن عباس وفق ما أجمعوا عليه، فالخلاف ليس في التحريم، وإنما الخلاف هل يقع الطلاق أم لا يقع؟، وهذا لم تشر إليه رواية ابن عباس، وغاية ما فيه للاحتجاج أنه سماه طلاقا.

٩- أخرج الإمام مسلم بسنده عن عبد الله (ابن عمر) أنه طلق امرأة له وهي حائض تطليقة واحدة، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يراجعها، ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض عنده حيضة أخرى، ثم يمهلها حتى تطهر من حيضتها، فإن أراد أن يطلقها فليطلقها حين تطهر من قبل أن يجامعها، فتلك العدة التي أمر الله أن يُطلق لها النساء، وزاد ابن رمح (أحد رواة الحديث) في روايته: وكان عبد الله إذا سئل عن ذلك، قال لأحدهم: أما أنت طلقت امرأتك مرة أو مرتين، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني بهذا، وإن كنت طلقتها ثلاثا، فقد حرمت عليك، حتى تنكح زوجًا غيرك، وعصيت الله فيما أمرك من طلاق امرأتك. قال مسلم: جوّد الليث في قوله تطليقة واحدة (صحيح مسلم ١٤٧١).

وفي الحديث: رد على من قال: إن لفظة (وهي واحدة) تعود على الطلقة التي ستقع في الطهر؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الحديث:..... فإن أراد أن يطلقها فليطلقها حين تطهر.... فالطلاق قد يوقعه الرجل أو لا يوقعه، فهو على الاحتمال، فكيف يعدل عن توجيه الضمير على الطلاق الذي وقع والمسئول عنه إلى الاحتمال.

والحمد لله رب العالمين.

باب الفقه

التشهد الأول والتشهد الأخير في الصلاة

(حكمهما - صفتهما - ما يقال فيهما)

الحلقة الثانية

تكلمنا في اللقاء السابق عن حكم التشهد الأول والتشهد الأخير، ونتكلم في هذا العدد عن صيغ التشهد الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته الكرام رضوان الله عليهم أنواعًا من صيغ التشهد منها:

إعداد/ **د. حمدي طه**

١- ما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال «كنا إذا صلينا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - قلنا: السلام على الله قبل عباده، السلام على جبريل، السلام على ميكائيل، السلام على فلان، فلما انصرف النبي - صلى الله عليه وسلم - أقبل علينا بوجهه فقال: إن الله هو السلام، فإذا جلس أحدكم في الصلاة فلْيقل:

التحياتُ لله والصلواتُ والطيباتُ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإنه إذا قال ذلك أصاب كلَّ عبد صالح في السماء والأرض، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ثم ليتخير بعدُ من الكلام ما شاء» رواه البخاري ومسلم. ورواه أحمد والنَّسائي وأبو داود.

قوله السلام على فلان - وفي رواية: السلام على فلان وفلان -: يعني من الملائكة. بدلالة ما جاء في رواية ابن ماجه: «... السلام على جبرائيل وميكائيل، وعلى فلان وفلان، يعنون الملائكة...». وفي رواية للبخاري ومسلم)لتشهد ابن مسعود: قال: (علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم التشهد - (و) كفي بين كفيه - كما يعلمني السورة من القرآن: الحديث وفيه: (وهو بين ظهرانينا فلما قبض قلنا: السلام على النبي)

وقوله: ليتخير بعدُ من الكلام: الكلام هنا يعني الدعاء. بدلالة رواية النَّسائي وأحمد وأبي داود وابن خُزَيمة وهي «... ليتخير أحدكم من الدعاء أعجبه إليه...».(الجامع لأحكام الصلاة ٢٧١/٢).

وقد بدأت بحديث ابن مسعود رضي الله عنه لمرجحات ذكرها أهل العلم منها:

- أنه أصح حديث في الباب.
- اتفاق الرواة عن ابن مسعود رضي الله عنه علي لفظه فلم يختلفوا في حرف منه، بل نقلوه مرفوعًا على صفة واحدة مع كثرة الروارة عن ابن مسعود رضي الله عنه.
- العمل عليه عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم ومن بعدهم واليك بعض أقوال أهل العلم في ذلك.

قال النووي الأحاديث الواردة في التشهد أشدها صحة باتفاق المحدثين حديث ابن مسعود (أنظر المجموع شرح المهذب ٤٥٧/٣ بتصرف).

وقال أبو عيسى الترمذي: حديث ابن مسعود أصح حديث (روي) عن النبي صلى الله عليه و سلم في التشهد والعمل عليه عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه

وسلم ومن بعدهم من التابعين وهو قول سفيان الثوري وابن المبارك وأحمد وإسحق(سنن

الترمذي ٢/ ٨١).

وقال البغوي: قال أهل المعرفة بالحديث: أصح حديث روي عن رسول الله صلى الله عليه و سلم في التشهد حديث ابن مسعود، واختاره أكثر أهل العلم من الصحابة، والتابعين، فمن بعدهم، وهو قول الثوري، وابن المبارك، وأحمد، وإسحاق، وأصحاب الرأي. (شرح السنة ٣/ ١٨٣)

وقال الذهلي: إنه أصح حديث روي في التشهد ومن مرجحاته أنه متفق عليه دون غيره وأن رواته لم يختلفوا في حرف منه بل نقلوه مرفوعًا على صفة واحدة (نيل الأوطار - الشوكاني ٢/ ٢١٥)

مسألة: توجيه قول ابن مسعود رضي الله عنه فلما قبض قلنا: السلام على النبي.

قال ابن عثيمين رحمه الله: وأمّا ما وَرَدَ في «صحيح البخاري» عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنهم كانوا يقولون بعد وفاة الرسول صلّى الله عليه وسلّم: «السَّلامُ على النَّبيِّ ورحمةُ الله وبركاته» فهذا من اجتهاداته رضي الله عنه التي خالَفه فيها مَنْ هو أعلَمُ منه؛ عُمرُ بن الخطاب رضي الله عنه، فإنه خَطَبَ النَّاسَ على منبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقال في التشهُّد: «السَّلامُ عليك أيُّها النبيُّ ورحمة الله»، وقاله عُمرُ بمحضر الصَّحابة رضي الله عنهم وأقرُّوه على ذلك.

ثم إن الرَّسولَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ علّمه أمَّته، حتى إنه كان يُعَلِّم ابنَ مسعود، وكَفُّه بين كفَّيه من أجل أن يستحضر هذا اللَّفظَ، وكان يُعلِّمُهم إيَّاه كما يُعلِّمُهم السُّورة من القرآن، وهو يعلم أنه سيموت؛ لأن الله قال له: «« إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ » (الزمر ٣٠) ولم يقلْ: بعد موتي قولوا: السَّلامُ على النَّبيِّ، بل عَلَّمَهم التشهُّدَ كما يُعلِّمُهم السُّورةَ من القرآن بلفظها. ولذلك لا يُعَوَّلُ على اجتهاد ابن مسعود، بل يُقال: «السَّلامُ عليك أيُّها النبيُّ».(الشرح الممتع ٣/ ٥٢ بتصرف).

٢ - تشهد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن فكان يقول التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله).

قال: الشوكاني: رواه مسلم وأبو داود بهذا اللفظ، ورواه الترمذي وصححه كذلك لكنه ذكر السلام منكرا ورواه ابن ماجه كمسلم لكنه قال: (وأن محمدًا عبده ورسوله) ورواه الشافعي وأحمد بتنكير السلام وقالا فيه: (وأن محمدًا) ولم يذكرا (أشهد) والباقي كمسلم. ورواه أحمد من طريق آخر كذلك لكن بتعريف السلام. ورواه النسائي كمسلم لكنه نكر السلام وقال: (وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله) - الحديث أخرجه أيضًا الدارقطني في أحد روايتيه وابن حبان في صحيحه بتعريف السلام الأول وتنكير الثاني. وأخرجه الطبراني بتنكير الأول وتعريف الثاني (نيل الأوطار - الشوكاني ٢/ ٢١٥).

قال أبو عيسى الترمذي: وذهب الشافعي إلى حديث ابن عباس في التشهد (سنن الترمذي ٢/ ٨٣).

وقال النووي: قال أصحابنا إنما رجح الشافعي تشهد ابن عباس على تشهد ابن مسعود لزيادة لفظة المباركات ولأنها موافقة لقول الله تعالى « تحية من عند الله مباركة طيبة» ولقوله «كما يعلمنا السورة من القرآن» ورجحه البيهقي قال بأن النبي صلى الله عليه وسلم علمه لابن عباس وأقرانه من أحداث الصحابة فيكون متأخرا عن تشهد ابن مسعود وأضرابه. (المجموع شرح المهذب ٣/ ٤٥٧).

٣ - تشهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

عن عبد الرحمن بن عبد القاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان رضي الله عنه يعلم الناس التشهد وهو على المنبر يقول: قولوا: (التحياتُ لله الزاكياتُ لله الطيباتُ الصلواتُ لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله)، قال الألباني رواه مالك والبيهقي بسند صحيح (صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم لمحمد ناصر الدين

الألباني ص ١٦٣).

قال ابن عبد البر: وأما التشهد فإن مالكًا وأصحابه ذهبوا فيه إلى ما رواه في الموطأ عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن بن عبدِ القاري أنه سمع عمر بن الخطاب وهو على المنبر يعلم الناس التشهد يقول... الحديث (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ١٦/١٨٦).

وقال القرافي: ترجيحنا أن عمر رضي الله عنه كان يقوله على المنبر من غير نكير، فجرى مجرى التواتر والإجماع لأن فيه زيادة الزاكيات، والتسليم بالتعريف أبلغ لإفادة العموم (الذخيرة ٢/٢١٤).

٤ - تشهد أبي موسى الأشعري رضي الله عنه

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال «... إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خطبنا، فبين لنا سُنَّتنا وعلَّمنا صلاتنا فقال... وإذا كانِ عند القعدة فليكنِ من أول قول أحدكم: التحياتُ الطيباتُ الصلواتُ لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله» رواه مسلم. ورواه النَّسائي وأبو داود وأحمد. وزاد ابن ماجه سبع كلمات هن تحية الصلاة

٥ -تشهد عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في التشهد:

(التحيات لله (و) الصلوات (و) الطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله - قال ابن عمر: زدت فيها: وبركاته - السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله - قال ابن عمر: وزدت فيها: وحده لا شريك له - وأشهد أن محمدًا - عبده ورسوله) (رواه أبو داود والدارقطني وصححه) (صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم لمحمد ناصر الدين الألباني ص ١٦٣).

٦ - تشهد عائشة رضي الله عنها

قال القاسم بن محمد كانت عائشة تعلمنا التشهد وتشير بيدها تقول:

(التحياتُ الطيباتُ الصلواتُ الزاكياتُ لله، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام عليكم) وهذه الصيغة رواها مالك والبيهقي عن عائشة موقوفةً عليها، وقد جاء فيها التشهد مقدَّمًا على السلام على النبي - صلى الله عليه وسلم -.

وقد قال العلماء بجواز التشهد بأي تشهد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال النووي: وقد أجمع العلماء على جواز كل واحد منها، وممن نقل الإجماع القاضي أبو الطيب (المجموع شرح المهذب ٣/٤٥٧).

وقال الشنقيطي: وقد بيّن المحققون -ومنهم الإمام الحافظ ابن عبد البر، وشيخ الإسلام ابن تيمية كما قرره في القواعد النورانية، وابن عبد البر في الاستذكار، وكذلك الإمام ابن القيم رحمه الله في غير ما موضع من كتبه- أن الأمر واسع، فإن شئت تشهدت بتشهد ابن مسعود، أو بتشهد عبد الله بن عباس، أو بتشهد عمر بن الخطاب. وكأنهم يرون أن هذا الخلاف إنما هو من اختلاف التنوع، وليس من اختلاف التضاد، فالأمر واسع، فإن شئت تشهدت بهذا، وإن شئت تشهدت بهذا. (شرح زاد المستقنع ٢/٣٥).

قلت: وهذا الاتساع لا ينفي القول بأولوية صيغة على غيرها، مع جواز الكل طبعًا. فرواية ابن مسعود أولي وأكثر استحباباً من غيرها من الصيغ لما ذكرناه من مرجحُات معتبرٌة عند أهل العلم لها على ما سواها من الروايات.

مسألة :هل يجمع بين أكثر من تشهد؟

قال ابن عثيمين رحمه الله:

الجواب: أنَّ العلماء رحمهم الله اختلفوا في مثل هذه الوجوه، وهذا بعد أن نعلم أنه لا يمكن جَمْع الذِّكْرَين في آنِ واحد، أمَّا إذا كان يُمكن أن نجمعهما في آنٍ واحد فجَمعُهما أولى، إلا إذا كان هناك قرينة تدلُّ على أن كلَّ واحد منهما يُقال بمفرده كما في دعاء الاستفتاح. فالتشهُّدُ علَّمَه النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم عَبدَ الله بن مسعود، وعَلَّمَه عبدَ الله بن عبَّاس وكلاهما صحيح، وليس بينهما إلا اختلاف يسير مما يدلُّنا على أن كلَّ واحد منهما يُقال بمفرده، وأن هذا الاختلاف اليسير مما جاءت به السُّنَّةُ. (الشرح الممتع ٣/٥٧ بتصرف)

وللحديث بقية إن شاء الله

مع القصة
في كتاب الله

قصة نزول عيسى (عليه السلام) في آخر الزمان

نزول عيسى (عليه السلام) (٣)

الحمد لله المبدئ المعيد الفعال لما يريد، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المرسلين والمبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعدُ:

أخي القارئ الكريم وقفنا بك في اللقاء السابق مع أعظم الأحداث في مسيرة مسيح الحق في آخر الزمان، ألا وهي قتله لمسيح الضلالة عند باب لُد، وهزيمة أتباعه ومعظمهم من اليهود، وبذلك يتم القضاء على مصدر عظيم من مصادر الشر في الأرض وخلاص العباد من أخطر فتنة وقعت على الأرض.

وبهلاك الدجال ومن معه من فلول اليهود الذين جاءوا خلفه من أصفهان تزول عن المسلمين المرابطين بأكناف بيت المقدس فتنة عظيمة وكرب شديد، وذكرنا هناك أن الشام، وبالتحديد بيت المقدس وما حوله ،ستكون آنذاك مقرًا للخلافة الإسلامية التي وعد بها النبي صلى الله عليه وسلم والتي ستكون في آخر الزمان، وذكرنا الأحاديث التي دلت على ذلك.

إعداد/ **عبد الرزاق السيد عيد**

والآن نبدأ بالإجابة عن سؤالين طرحناهما في نهاية المقال السابق، ووعدنا بالإجابة عليهما اليوم؛ لصلتهما الوثيقة بموضوعنا وهما:

١- هل ستكون هذه الخلافة سابقة لظهور المهدي أم معه؟

٢- هل هذه الخلافة حتمية؟ ولماذا؟

أما عن السؤال الأول المتعلق بعودة الخلافة قبل المهدي أم لا، فمن أهل العلم من يرى أن غربة الإسلام ستزداد إلى أن يظهر المهدي من ولد فاطمة فيُظهر الإسلام ويحيي العدل.

ومن أهل العلم من يرى ضرورة قيام خلافة إسلامية على منهاج النبوة قبل المهدي، ومن المنافحين عن هذا الاتجاه: هو الشيخ العلامة الألباني رحمه الله قال: «واعلم يا أخي المسلم أن كثيرًا من المسلمين اليوم قد انحرفوا عن الصواب في هذا الموضوع، فمنهم من استقر في نفسه أن دولة الإسلام لن تقوم إلا بخروج المهدي! وهذه خرافة وضلالة ألقاها الشيطان في قلوب كثير من العامة، وبخاصة الصوفية.

وليس في شيء من أحاديث المهدي ما يشعر بذلك مطلقًا، بل هي كلها لا تخرج عن أن النبي صلى الله عليه وسلم بشر المسلمين برجل من أهل بيته، ووصفه بصفات بارزة أهمها: أنه يحكم بالإسلام وينشر العدل بين الأنام، فهو في الحقيقة من المجددين الذين يبعثهم

الله على رأس كل مئة سنة كما صح عنه صلى الله عليه وسلم، فكما أن ذلك لا يستلزم ترك السعي وراء طلب العلم والعمل به لتجديد الدين، فكذلك خروج المهدي لا يستلزم التواكل عليه وترك الاستعداد والعمل لإقامة حكم الله في الأرض، بل العكس هو الصواب، فإن المهدي لن يكون أعظم سعيًا من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي ظل ثلاثة وعشرين عاما، وهو يعمل لتوطيد دعائم الإسلام، وإقامة دولته فماذا عسى أن يفعل المهدي لو خرج اليوم فوجد المسلمين شيعًا وأحزابًا، وعلماؤهم - إلا القليل منهم - اتخذهم الناس رؤوسًا! لمن يستطيع أن يقيم دولة الإسلام إلا بعد أن يوحد كلمتهم ويجمعهم في صف واحد، وتحت راية واحدة، وهذا بلا شك يحتاج إلى زمن مديد الله أعلم به.

فالشرع والعقل معا يقتضيان أن يقوم بهذا الواجب المخلصون من المسلمين، حتى إذا خرج المهدي، لم يكن بحاجة إلا أن يقودهم إلى النصر، وإن لم يخرج فقد قاموا هم بواجبهم. (سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/١٠٣).

> ”خروج المهدي لا يستلزم التواكل عليه وترك الاستعداد والعمل لإقامة حكم الله في الأرض.“

وهكذا نرى الشيخ رحمه الله يستدل على ما ذهب إليه بدليل في غاية القوة ألا وهو: أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر «أن الله يبعث في الأمة على رأس كل مئة عام من يجدد لها أمر دينها» فكما أن المسلمين لا يتوقفون عن العلم والعمل انتظارًا لهذا المجدد، فكذلك لا يتوقفون عن العلم والعمل والجهاد لنصرة الدين انتظارًا لخروج المهدي وهو واحد من هؤلاء المجددين، بل إن أشد الناس غلوًا في ذلك وهم الروافض تراجعوا عن فكرة الانتظار لخروج المهدي واخترع لهم الخميني ما أسماه ولاية الفقيه وصاروا يسعون في الأرض فسادًا وينشرون مذهبهم الباطل بحجة تهيئة الأجواء لظهوره بينما أهل السنة والجماعة وهم أهل الحق تتآكل الأرض من تحت أقدامهم في كل يوم وما ذلك إلا أنهم تفرقوا شيعًا وأحزابًا، إن الانكسارات المتعددة ينبغي أن توقظنا من سباتنا. فنعود أكثر استمساكًا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، بل نعضّ عليها بالنواجذ كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، ونبذ محدثات الأمور، فهذا هو الطريق.

ويمكن تعقب هذا القول بأن المهدي سيظهر بالفعل في خرابة؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما مُلئت ظلمًا وجورًا». وإن كنا نوافق على العمل الدؤوب لإعلاء كلمات الله عز وجل في الأرض، لكن ظهور المهدي بهذا الوصف لا يستلزم أن يكون قبله تمهيد وخلافة.

إجابة السؤال الثاني عن حتمية ظهور الخلافة الراشدة:

أقول وبالله التوفيق: لا بد من ظهور الخلافة الإسلامية سواء مع المهدي أو قبله وهو الراجح والله أعلم.

ولا يستبعدن أحد ذلك؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسًا يستعملهم فيه بطاعته إلى يوم

القيامة» من حديث أبي عتبة الخولاني حسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٥٦٩)، والقضية التي يجب أن يستوعبها المسلمون استيعابًا لا يقبل الشك ولا الريب أن الله سبحانه وتعالى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ونصَّ على ذلك بوضوح في قوله تعالى: «هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ» (الصف: ٩)، وهذا الإظهار الذي أراده الله سبحانه هو ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة الآتية:

- «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها» الحديث، وهو صدر حديث ثوبان رضي الله عنه رواه مسلم برقم (٢٨٨٩).

- وعن تميم الداري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يبقى بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزًا يعز الله به الإسلام وذلاً يذل به الكفر». رواه الإمام أحمد والطبراني وابن منده في كتاب الإيمان، وصححه في الصحيحة برقم (٢).

> ”الله سبحانه وتعالى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ونصَّ على ذلك بوضوح.“

ويتضح من هذين الحديثين وما في معناهما أن الإظهار المقصود في الآية هو الذي يعم الكرة الأرضية مشرقها ومغربها شمالها وجنوبها؛ بحيث لا يبقى بيت في الأرض إلا ودخله الإسلام حتى لا يدان بدين إلا الإسلام، ولا يعبد في الأرض إلا الله، وهذا هو الإظهار الذي وعد الله به وما حدث في عهد النبوة الكريمة هو مرحلة وكذلك ما حدث في أيام الخلافة الراشدة هي مرحلة؛ لأن الدين لم يغط الكرة الأرضية كما جاء في الأحاديث ولم يبلغ ما بلغ الليل والنهار، ولذلك وعد النبي صلى الله عليه وسلم بخلافة راشدة على منهاج النبوة تكون بعد الحكم العضوض والحكم الجبري.

وهذه الخلافة الراشدة التي وعد بها النبي صلى الله عليه وسلم والتي ستبدأ قبل المهدي أو معه، ثم تختتم بعيسى عليه السلام، فهو على مكانته المحفوظة والمعلومة من كونه نبياً كريماً من أولي العزم فسيكون في هذه الأمة يكمل المهمة التي أرسله الله بها فلا يقبل من الناس إلا الإسلام وتكون الملة واحدة وهي الإسلام ولا يُعبد إلا الله في الأرض، وقبل أن ننتقل إلى عمل آخر من أعمال عيسى عليه السلام نشير بعض الفوائد العلمية المستفادة مما سبق:

١- البعض يبالغ ويحاول أن يؤكد أن الدجال يحكم الأرض الآن، وهؤلاء للأسف ممن يسمي نفسه باحثًا في أشراط الساعة أو مثل هذه الأسماء وتنشر أقواله مصورة على الإنترنت في حلقات متتالية، وهناك من يرفض فكرة الدجال أصلاً وينكر أحاديثها بالجملة كما ينكر أحاديث المهدي ونزول عيسى.

والحق الذي لا ريب فيه هو ما صرَّحت به الأحاديث الصحيحة

وهو تزامن ظهور المهدي مع عيسى مع الدجال والذي سيقوم عيسى عليه السلام بقتله، كما أوضحنا، وواجب المسلم المتبع لمنهج أهل السنة والجماعة أن يؤمن بأشراط الساعة كما أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم بغير إفراط ولا تفريط كما أننا لا نستطيع أن نحدد لها زمانًا مجددًا ولا ننزلها على أشخاص معينين ولا جماعة بعينها كما فعل بعض المتاجرين بالدين، واستغلوا ضعف الأمة وحالة الانكسار التي تعاني منها وتجرؤوا جرأة عجيبة على تحديد مواقيت لحوادث كبار، فقال بعضهم وزعم أن المهدي يظهر في يوم الثلاثاء الموافق ٢٥ محرم ١٤٢٠هـ، ويحدِّد كذلك المدة بين ظهور المهدي ونزول عيسى عليه السلام بأنها ثمانية أشهر، وقد سبقه لذلك من حدد ظهور المهدي في عام ١٤٠٠هـ وفي المحرم منه، وقاموا باحتلال الحرم المكي فعلاً وقدموا المهدي المزعوم للصلاة في الفتنة المعروفة بفتنة جهيمان، وادعى بعضهم أن ظهور عيسى عليه السلام ستكون عام ٢٠٠٠م ووفاته ستكون ٢٠٠٧م، وأن نهاية العالم ستكون ٢٠١٠م، وقد كذب الواقع كل هذه التخرصات والحمد لله.

> ”الحق الذي لا ريب فيه هو ما صرَّحت به الأحاديث الصحيحة وهو تزامن ظهور المهدي مع عيسى مع الدجال والذي سيقوم عيسى عليه السلام بقتله .“

وكل هؤلاء المتخرصين وقعوا فيما وقع فيه أهل الكتاب، ونحن نبرأ إلى الله من كل ذلك.

٢- إن من الحكم العظيمة كون المسيح عليه السلام هو الذي يسلطه الله على الدجال كما صح في الأخبار عن سيد الأبرار أن عيسى عليه السلام ينزل آخر الزمان، قبل يوم القيامة من السماء فيقتل مسيح الضلالة الدجال على بعد خطوات من باب مدينة اللد، ويُظهر دين الله وتوحيده، ويقضي على أعدائه الذين رموه وأمه بالعظائم، وحاولوا أن يقتلوه ويصلبوه، كما سيقتل أيضًا أعداء الدين وسوف تعود الملل في زمنه واحدة وهي ملة إبراهيم حنيفًا والتي أمر الله رسوله محمدًا أن يتبعها وهي ملة جميع الأنبياء من لدن آدم حتى ختمهم الله بمحمد النبي الأمي، وذلك أن عيسى عليه السلام حين بعث في قومه أول مرة قال كما أخبر الله عنه في كتابه الكريم: «وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَـٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ» (الصف: ٦- ٧). فلما رفض اليهود ما جاءهم به عيسى عليه السلام من البينات الواضحات ومن تبشيره بالنبي الخاتم الذي يأتيهم بدين الإسلام الذي اختاره الله للعالمين، وقعوا في ظلم عظيم وكذب مبين، فكان الجزاء من جنس العمل، فكانوا أتباع أكذب خلق الله وصاحب أعظم فتنة على دين الناس منذ خلق الله آدم حتى قيام الساعة، فأراد الله سبحانه أن يكون مقتل الدجال وهزيمة أتباعه على يد عيسى ابن مريم فتكون هزيمة كبرى للباطل وأهله أمام الحق وأهله، الباطل الذي يمثله الدجال وأتباعه من اليهود وغيرهم، والحق الذي يمثله عيسى ابن مريم وأتباعه من المسلمين الموحدين.

والحمد لله رب العالمين.

نظرات
في سيرة الرسول
صلى الله عليه وسلم

تاريخ إدخال حجرات النبي (صلى الله عليه وسلم) في مسجده

الحلقة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد..

تحدثنا في الحلقة السابقة حول وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه مات في بيته في حجرة أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها، وكانت حجرتها وجميع حجرات نساء النبي صلى الله عليه وسلم خارج مسجده، ولما مات عليه الصلاة والسلام دُفن حيث مات، فكان قبره في غرفتها، وظل قبره عليه الصلاة والسلام في بيته خارج المسجد عشرات السنين بعد موته صلى الله عليه وسلم، وموت الخلفاء الراشدين الأربعة؛ بل وعامة الصحابة، فكيف أدخلت الحجرة النبوية داخل المسجد؛ ومتى كان ذلك؟؛ نقول وبالله التوفيق:

إعداد/ **جمال عبد الرحمن**

إدخال الحجرة النبوية في المسجد:

قال ابن كثير رحمه الله: كَانَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِك حِينَ وَلِي الْإِمَـارَةَ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ قَدْ شَرَعَ فِي بِنَـاءِ جامع دِمَشْقَ وَكَتَبَ إِلَـى نَائِبِـه بِالْمَدِينَـةِ ابْنِ عَمِّه عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنْ يوسِّع فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ فَوَسَّعَهُ حَتَّى مِنْ نَاحِيَةِ الشَّرْقِ فَدَخَلَتِ الْحُجْرَةُ النَّبَوِيَّةُ فِيه. وفي الطبري: أمر الوليد سنة ٨٨هـ بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وهدم بيوت أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وإدخالها في المسجد. البداية والنهاية (٥/ ٢٩٣).

وقال أيضا: ذَكَرَ ابن جرير: أنه في شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ سنة ٨٨هـ قَدِمَ كِتَابُ الْوَلِيد عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العزيزِ يَأْمُرُهُ بِهَدْمِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ وَإِضَافَةِ حُجَرِ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّه (صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

موقف السلف من إدخال الحجرة النبوية والقبر في المسجد النبوي

فَجَمَعَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وُجُوهَ النَّاسِ وَالْفُقَهَاءَ الْعَشَرَةَ وأهل المدينة وقرأ عليهم كتاب أمير الْمؤمنِين الْوَلِيد، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ وَقَالُوا: هَذِه حُجَرٌ قَصِيرَةُ السُّقُوفِ، وَسُقُوفُهَا مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ، وَحِيطَانُهَا مِنَ اللَّبِنِ، وَعَلَى أَبْوَابِهَا الْمُسُوحُ، وَتَرْكُهَا عَلَى حَالِهَا أَوْلَى لِيَنْظُرَ إِلَيْهَا الْحُجَّاجُ وَالزُّوَّارُ وَالْمُسَافِرُونَ، وَإِلَى بُيُوتِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ) فَيَنْتَفِعُوا بِذَلِكَ وَيَعْتَبِرُوا بِه، وَيَكُونَ ذَلِكَ أَدْعَى لَهُمْ إِلَى الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، فَلَا يُعَمِّرُونَ فيهَا إِلَّا بِقَدْرِ الْحَاجَةِ وَهُوَ مَا يَسْتُرُ وَيُكِن.

فَعِنْدَ ذَلِكَ كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى الْوَلِيد بِمَا أَجْمَعَ عَلَيْه الْفُقَهَاءُ

الْعَشَرَةُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْه يَأْمُرُهُ بِالْخَرَاب (أي هدم المسجد والحجرة) وَبِنَاء الْمَسْجد عَلَى مَا ذَكَرَ، وَأَنْ يُعَلِّيَ سُقُوفَهُ، فَلَمْ يَجِدْ عُمَرُ بُدًّا مِنْ هَدْمِهَا، وَلَمَّا شَرَعُوا فِي الْهَدْمِ صَاحَ الْأَشْرَافُ وَوُجُوهُ النَّاسِ مِنْ بَنِي هَاشِم وَغَيْرِهِمْ، وَتَبَاكَوْا مِثْلَ يَوْمَ مَاتَ النَّبِيّ (صلى الله عليه وسلم)، فَأَدْخَلَ فِيهِ الْحُجْرَةَ النَّبَوِيَّةَ - حُجْرَةَ عَائِشَةَ - فَدَخَلَ الْقَبْرُ فِي الْمَسْجِد،... وَيُحْكَى أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ أَنْكَرَ إِدْخَالَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ فِي الْمَسْجِد - كَأَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ الْقَبْرُ مَسْجِدًا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ». البداية والنهاية (٩/ ٨٩).

فائدة:

ومعلوم أن فقهاء المدينة هم كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وَكَانَ الْمُفْتُونَ بِالْمَدِينَةِ مِنْ التَّابِعِينَ: ابْنَ الْمُسَيِّبِ، وَعُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَالْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّد، وَخَارِجَةَ بْنَ زَيْد، وَأَبَا بَكْرِ بْنَ عَبْد الرَّحْمَنِ بْنِ حَارِث بْنِ هِشَام، وَسُلَيْمَانَ بْنَ يَسَار، وَعُبَيْدَ اللَّه بْنَ عَبْد اللَّه بْنَ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُود، وَهَؤُلَاءِ هُمْ الْفُقَهَاءُ، وَقَدْ نَظَمَهُمْ الْقَائِلُ فَقَالَ:

إذا قيل: مَنْ فِي الْعِلْم سَبْعَةُ أَبْحُرٍ
رِوَايَتُهُمْ لَيْسَتْ عَنْ الْعِلْمِ خَارِجَهْ
فَقُلْ: هُمْ عُبَيْدُ اللَّه عُرْوَةُ قَاسِمٌ
سَعِيدٌ أَبُو بَكْرٍ سُلَيْمَانُ خَارِجَهْ

> المسجد النبوي أسسه النبي صلى الله عليه وسلم على تقوى من الله تعالى ورضوان منه سبحانه، ولم يقبر فيه النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته، بل قبر في حجرة عائشة رضي الله عنها.

وبعض المحدثين يجعلونهم عشرة أو يجعلون أحد التابعين مكان أحدهم، ومن أشهر هؤلاء التابعين: سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وأبان بن عثمان بن عفان. أعلام الموقعين عن رب العالمين ١/ ١٩.

يتبين مما سبق أن فقهاء المدينة لم يقبلوا إدخال الحجرة بما فيها القبر في المسجد، وأن ذلك تم رغمًا عنهم بأمر الوليد بن عبد الملك، وكذا عامة أهل المدينة قد رفضوا ذلك، ومما يؤكد هذا المعنى ما قالته اللجنة الدائمة: (المسجد النبوي أسسه النبي صلى الله عليه وسلم على تقوى من الله تعالى ورضوان منه سبحانه، ولم يقبر فيه النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته، بل قبر في حجرة عائشة رضي الله عنها، ولما مات أبو بكر رضي الله عنه دفن معه في الحجرة ثم مات عمر رضي الله عنه فدفن معه أيضا في الحجرة، ولم تكن الحجرة في المسجد ولا في قبلته، بل عن يسار المصلي خارج المسجد، ولم تدخل فيه حينما وسع عثمان رضي الله عنه المسجد النبوي، وإنما أدخلت بعد زمن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.) فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٤٠٩).

وقد نتج عن هذا أن وقع الكثيرون ممن لا يحتاطون لدينهم بعد إذ نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد، وعن بناء المساجد على القبور أو العكس؛ فوقعوا فيما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه فبنوا قبورا في المساجد، صارت هذه القبور فتنة للكثيرين ممن يدعون عندها، ويتوسلون بأصحابها، وهم موتى « لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا » (الفرقان /٣).

شبهات وجوابها:

قد يقول قائل: إذا كان من المقرر شرعا تحريم بناء المساجد على القبور فهناك أمور كثيرة تدل على خلاف ذلك منها:

أولا: قوله تعالى في سورة الكهف (قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا) (آية: ٥٥).

والجواب:

كيف يمكن أن يكون اتخاذ المساجد على القبور من

الشرائع المتقدمة مع ما سمعت من لعن النبي صلى الله عليه وسلم اليهود والنصارى حيث اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، والآية ليس فيها أكثر من حكاية قول طائفة من الناس وعزمهم على فعل ذلك، وليست خارجة مخرج المدح لهم والحض على التأسي بهم فمتى لم يثبت أن فيهم معصوما لا يدل على عزمهم على مشروعية ما كانوا بصدده.

وغاية ما في الآية أن جماعة من الناس قالوا» لنتخذن عليهم مسجدا»، فليس فيها التصريح بأنهم كانوا مؤمنين، وعلى التسليم فليس فيها أنهم كانوا مؤمنين صالحين متمسكين بشريعة نبي مرسل، بل الظاهر خلاف ذلك. قال الحافظ ابن رجب في» فتح الباري في شرح البخاري « (٦٥ / ٢٨٠) من « الكواكب الدراري « حديث لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد «: وقد دل القرآن على مثل ما دل عليه هذا الحديث وهو قول الله عز وجل في قصة أصحاب الكهف:» قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا». «فجعل اتخاذ القبور على المساجد من فعل أهل الغلبة على الأمور، وذلك يشعر بان مستنده القهر والغلبة واتباع الهوى، وأنه ليس من فعل أهل العلم والفضل المنتصر لما أنزل الله على رسله من الهدى. اهـ (تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد ص٥٥ بتصرف يسير).

> والصحابة رضي الله عنهم حينما دفنوه صلى الله عليه وسلم في الحجرة إنما فعلوا ذلك كي لا يتمكن أحد بعدهم من اتخاذ قبره مسجدا .

الشبهة الثانية: كون قبر النبي صلى الله عليه وسلم في مسجده الشريف ولو كان ذلك لا يجوز لما دفنوه صلى الله عليه وسلم في مسجده.

الجواب عن الشبهة الثانية:

قال الشيخ الألباني: وأما الشبهة الثانية وهي أن قبر النبي صلى الله عليه وسلم في مسجده كما هو مشاهد اليوم ولو كان ذلك حراما لم يدفن فيه.

والجواب: أن هذا وإن كان هو المشاهد اليوم فإنه لم يكن كذلك في عهد الصحابة رضي الله عنهم، فإنهم لما مات النبي صلى الله عليه وسلم دفنوه في حجرته التي كانت بجانب مسجده وكان يفصل بينهما جدار فيه باب، كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج منه إلى المسجد، وهذا أمر معروف مقطوع به عند العلماء ولا خلاف في ذلك بينهم، والصحابة رضي الله عنهم حينما دفنوه صلى الله عليه وسلم في الحجرة إنما فعلوا ذلك كي لا يتمكن أحد بعدهم من اتخاذ قبره مسجدا، كما سبق بيانه، في حديث عائشة وغيره، ولكن وقع بعدهم ما لم يكن في حسبانهم ذلك أن الوليد بن عبد الملك أمر سنة ثمان وثمانين بهدم المسجد النبوي وإضافة حجر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه فأدخل فيه الحجرة النبوية حجرة عائشة فصار القبر بذلك في المسجد. (تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد ص٦٥).

قال: ولهذا نقطع بخطأ ما فعله الوليد بن عبد الملك عفا الله عنه، ولئن كان مضطرا إلى توسيع المسجد فإنه كان باستطاعته أن يوسعه من الجهات الأخرى دون أن يتعرض للحجرة الشريفة، وقد أشار عمر بن الخطاب إلى هذا النوع من الخطأ حين قام هو رضي الله عنه بتوسيع المسجد من الجهات الأخرى ولم يتعرض للحجرة بل قال « إنه لا سبيل إليها «. فأشار

رضي الله عنه إلى المحذور الذي يترقب من جراء هدمها وضمها إلى المسجد.

الشبهة الثالثة: صلاة النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد الخيف مع أن فيه قبر سبعين نبيا كما قال صلى الله عليه وسلم.

وأما الشبهة الثالثة وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد الخيف وقد ورد في الحديث أن فيه قبر سبعين نبيا.

فالجواب: أننا لا نشك في صلاته صلى الله عليه وسلم في هذا المسجد ولكننا نقول: إن ما ذكر في الشبهة من أنه دفن فيه سبعون نبيا لا حجة فيه من وجهين:

الأول: هذا الحديث ضعيف لا تقوم بمثله حجة؛ لأنه لم يروه أحد ممن عني بتدوين الحديث الصحيح ولا صححه أحد ممن يوثق بتصحيحه من الأئمة المتقدمين ولا النقد الحديثي يساعد على تصحيحه فإن في إسناده من يروي الغرائب. (انظر: تحذير الساجد).

الجواب عن الشبهة الرابعة:

وأما ما ذكر في بعض الكتب أن قبر إسماعيل عليه السلام وغيره في الحجر من المسجد الحرام وهو أفضل مسجد يتحرى فيه فالجواب:

لا شك أن المسجد الحرام أفضل المساجد والصلاة فيه بمائة ألف صلاة، ولكن هذه الفضيلة أصلية فيه منذ رفع قواعده إبراهيم مع ابنه إسماعيل عليهما السلام، ولم تطرأ هذه الفضيلة عليه بدفن إسماعيل عليه السلام فيه لو صح أنه دفن فيه، ومن زعم خلاف ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا وجاء بما لم يقله أحد من السلف الصالح رضي الله عنهم ولا جاء به حديث تقوم الحجة به.

> ”لم يثبت في حديث مرفوع أن إسماعيل عليه السلام أو غيره من الأنبياء الكرام دفنوا في المسجد الحرام ولم يرد شيء من ذلك في كتاب من كتب السنة المعتمدة.“

فالجواب: كلا ثم كلا، وهاك البيان من وجوه:

لم يثبت في حديث مرفوع أن إسماعيل عليه السلام أو غيره من الأنبياء الكرام دفنوا في المسجد الحرام ولم يرد شيء من ذلك في كتاب من كتب السنة المعتمدة كالكتب الستة ومسند أحمد ومعاجم الطبراني الثلاثة وغيرها إلا ضعيفا بل موضوعا عند بعض المحققين، وغاية ما رُوِيَ في ذلك من آثار معضلات بأسانيد واهيات موقوفات، أخرجها الأزرقي في « أخبار مكة » (ص ٣٩ و ٢١٩ و ٢٢٠) فلا يلتفت إليها وإن ساقها بعض المبتدعة مساق المسلمات. ونحو ذلك ما أورد السيوطي في « الجامع » من رواية الحاكم في « الكنى » عن عائشة مرفوعا بلفظ: إن قبر إسماعيل في الحجر.

وتنزلاً وافتراضًا أن القبور المزعوم وجودها في المسجد الحرام غير ظاهرة ولا بارزة، ولذلك لا تقصد من دون الله تعالى فلا ضرر من وجودها في بطن أرض المسجد فلا يصح حينئذ الاستدلال بهذه الآثار على جواز اتخاذ المساجد على قبور مرتفعة على وجه الأرض لظهور الفرق بين الصورتين، وبهذا أجاب الشيخ علي القاري رحمه الله تعالى، فقال في «مرقاة المفاتيح» (١ / ٤٥٦): وهذا جواب عالم نحرير وفقيه خريت ، وفيه الإشارة إلى ما ذكرناه آنفا وهو أن العبرة في هذه المسألة بالقبور الظاهرة وأن ما في بطن الأرض من القبور فلا يرتبط به حكم شرعي من حيث الظاهر بل الشريعة تنزه عن مثل هذا الحكم لأننا نعلم بالضرورة والمشاهدة أن الأرض كلها مقبرة الأحياء كما قال تعالى: «ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا». قال الشعبي: بطنها لأمواتكم وظهرها لأحيائكم.

هذا ما تيسر جمعه مختصرًا في هذا المقال، **والحمد لله رب العالمين.**

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (١٨٤)

الواهيات المتكررة في آفات المناظرة

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية حتى نقف على حقيقة هذه الواهيات التي اشتهرت وانتشرت على ألسنة المدرسين والطلاب، خاصة في هذا العام، والى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

إعداد / **علي حشيش**

أولاً: الأسباب التي تحتم بيان هذه الواهيات:

إن الأزهر الشريف - حفظه الله من الواهيات والمنكرات- جعل موضوع «آفات المناظرة» لأبي حامد الغزالي من مقررات الصف الثالث الثانوي، حيث يدرس على طلاب هذه المرحلة في كتاب «المطالعة والإنشاء» (ص٤٠-٤٥) في أكثر من مائة سطر، ط- قطاع المعاهد الأزهرية، الإدارة المركزية للكتب، لجنة إعداد وتطوير المناهج بالأزهر الشريف العام الدراسي (١٤٣٦- ١٤٣٧هـ).

ولقد جاء في بيان هذه اللجنة في مقدمة الكتاب: «أن هذا الكتاب في شكله الجديد في إطار مساعي الأزهر الشريف للتطور والتجديد، وضمن خطته المتنامية للمراجعة والتدقيق، وقد ضم هذا الكتاب عشرة موضوعات راعت التنوع التراثي والعصري والديني والاجتماعي.. وقد شارك في إعداد الكتاب لفيف من المتخصصين الذين قاموا على إعداد المستوى التعليمي ونخبة من التربويين الذين وضعوا الأهداف التربوية». اهـ.

ثانيا: بيان عن موضوع «آفات المناظرة»:

هذا الموضوع قد نقلته لجنة إعداد وتطوير المناهج بالأزهر الشريف من كتاب «إحياء علوم الدين» لأبي حامد الغزالي كتاب «العلم»، باب «آفات المناظرة» (٤٥/١-٤٨)، هذا الموضوع أُسست عناصره على أحاديث جُعلَتْ أصولاً ونُسِبَتْ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم من غير تخريج ولا تحقيق، وبالنظر إلى هذا الكتاب المقرر على الصف الثالث الثانوي بالأزهر الشريف، وبالبحث في حاشيته لعليِّ أجد تخريجًا وتحقيقًا لهذه الأحاديث- التي لم يخرجها ولم يحققها أبو حامد الغزالي- كما تقتضيه الدراسة في المعاهد العلمية فما وجدت تحقيقًا، بل وجدت بعض الأحاديث لم تخرج ولم تحقق، والبعض الآخر خرج تخريجًا مقتضبًا بغير تحقيق، وهذه الأحاديث هي أصول هذا الموضوع، وبغير صحة الأصول لا يمكن الوصول، خاصة وأن هذا الموضوع لم يكن لعامة الناس، ولكن لطلبة علم في أهم مرحلة من مراحل التعليم في الأزهر الشريف- حفظه الله- بعدها يتوجهون إلى الكليات المختلفة!!

ولقد بيَّن الشيخ الألباني

رحمه الله خطر هذا الأمر في «تخريج أحاديث الحلال والحرام» (ص٤) قال: «لا يعفيهم من المسئولية ما جرى عليه جمهور كبير من الكتاب اليوم، وفيهم بعض من ينتسب إلى الحديث- ألا وهو تخريجهم الحديث في حاشية الكتاب بعزوه إلى كتاب من كتب السنة دون بيان مرتبته من الصحة أو الضعف ولو بالنقل عن بعض الأئمة، متوهمين أنهم قد قاموا بما يجب عليهم من التحقيق، والحق أن هذا الصنيع لا يسمن ولا يغني من جوع، بل هو أقرب إلى الغش والتدليس على القراء فيه إلى نصحهم ونفعهم، ولو أنهم لا يقصدون ذلك، لاسيما أولئك الذين يتوسعون في التخريج توسعًا مملاً، فيسودون به عدة أسطر، يسهل لهم ذلك الفهارس العلمية التي وضعت في هذا الزمن، فهذه الظاهرة من التخريج وإن كانت تبشر بخير من حيث دلالتها على اهتمام الكتاب اليوم بعلم الحديث وكتبه، فذلك غير كاف، بل هو يوهم ما قد لا يقصدونه من الصحة، ذلك لأن عامة القراء لا يفرقون بين التخريج والتحقيق، فيتوهمون من مجرد العزو لإمام من أئمة الحديث الصحة: «لا تلازم بينهما إلا نادرًا». اهـ.

قلتُ: قوله: «ولا تلازم بينهما إلا نادرًا» كعزو الحديث إلى الإمام البخاري في «صحيحه» أو الإمام مسلم في «صحيحه»، وهذا ما يعنيه الاستثناء.

ثالثا: تخريج وتحقيق الواهيات المتكررة في آفات المناظرة:

الحديث الأول:

١- هذا الحديث أورده أبو حامد الغزالي في «الإحياء» (١/٤٥) بصيغة الجزم فقال: «وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحسدُ يأكلُ الحسناتِ كما تأكلُ النارُ الحطب»، وذلك تحت آفة الحسد، ونقلته لجنة إعداد وتطوير المناهج من المتخصصين بصيغة الجزم وخرجته في حاشية الكتاب قالت: «أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة». اهـ.

قلت: وهذا التخريج بغير التحقيق لا يليق بمعاهد علمية في أشد الحاجة إلى التحقيقات الحديثية حتى يستطيع الطالب أن يعرف درجة الحديث من حيث الصحة أو الضعف، خاصة وأن المؤلف قد أورده بصيغة الجزم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبقها حرف «قد» الذي يدخل على الفعل الماضي فيفيد التأكيد كذا في «المعجم الوجيز» (ص٤٩١) لمجمع اللغة العربية.

٢- التخريج والتحقيق لهذا الحديث:

الحديث أخرجه أبو داود في «السنن» (٤/٢٧٦) (ح٤٩٠٣) من طريق إبراهيم بن أبي أسيد، عن جده، عن أبي هريرة مرفوعًا بلفظ: «إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب».

وأخرجه الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (١/١/٢٧٢) وقال: «إبراهيم بن أبي أسيد المدني البراد عن جده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»، ولا يصح». اهـ.

قلت: هذا حكم الإمام البخاري أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث في علله بأن الحديث لا يصح.

وقال الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (١/٩٣): «إبراهيم بن أبي أسيد روى عن جده ولم يسمه عن أبي هريرة». اهـ.

فالحديث مبهم، قال البيقوني في «منظومته»: «ومبهمٌ ما فيه راو لم يُسَمْ».

قال الحافظ في «شرح النخبة» (ص٤٩): «ولا يقبل حديث المبهم ما لم يسم؛ لأن شرط قبول الخبر عدالة راويه ومن أبهم اسمه لا تعرف عينه فكيف تعرف عدالته؟». اهـ.

قلت: الحديث الذي قالت فيه لجنة تطوير المناهج بالأزهر الشريف من المتخصصين في حاشية الكتاب: «أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة»، حكم عليه أمير المؤمنين في الحديث بأنه: «لا يصح».

رابعًا: أوهام حول شاهد:

وقد يتوهم البعض أن للحديث شاهدًا أخرجه ابن ماجه

في سننه من حديث أنس في جملته الأولى، وهذا هو تخريج وتحقيق الشاهد:

أخرجه ابن ماجه في «السنن» (١٤٠٨/٢) (ح٤٢١٠) قال: حدثنا هارون بن عبد الله الحمَّال وأحمد بن الأزهر، قالا: حدثنا ابن أبي فديك عن عيسى بن أبي عيسى الحناط عن أبي الزناد، عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، والصدقة تطفئ الخطيئة، كما يطفئ الماء النار، والصلاة نور المؤمن، والصيام جُنة من النار».

قلتُ: وعلة هذا الحديث عيسى بن أبي عيسى الحناط.

١- قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٦٥٦٩/٣٢٠/٣): «عيسى بن أبي عيسى الحناط ضعفه أحمد وغيره، وقال الفلاس، والنسائي: متروك».

٢- وقال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١١٧/٢): عيسى بن أبي عيسى الخياط وهو الذي يقال له الخياط والحناط؛ لأنه كان خياطًا في أول أمْره ثم ترك الخياطة وصار حنّاطًا، وكان سيئ الفهم والحفظ كثير الوهم فاحش الخطأ استحق الترك لكثرته. اهـ.

وهذا تطبيق لقاعدة ذكرها الحافظ العراقي في «فتح المغيث» (ص٧): «من كثر الخطأ في حديثه وفحش استحق الترك وإن كان عدلاً». اهـ.

قلت: لذلك أورده الحافظ ابن حجر في «التقريب» (١٠٠/٢) وقال: «عيسى بن أبي عيسى الحناط: متروك». اهـ.

وبهذا يتبين أن حديث أنس في جملته الأولى لا يصلح أن يكون شاهدًا كما هو معلوم عند أهل الصناعة الحديثية، ولقد بيّن ذلك الحافظ ابن كثير في «اختصار علوم الحديث» (ص٣٣) حيث قال: «قال الشيخ أبو عمرو: لا يلزم من ورود الحديث من طرق متعددة أن يكون حسنًا لأن الضعف يتفاوت فمنه ما لا يزول بالمتابعات. يعني لا يؤثر كونه تابعًا أو متبوعًا كرواية الكذابين والمتروكين». اهـ.

خامسًا: أوهام حول متابع لحديث أنس:

قد يتوهم أيضًا من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن هناك متابعًا آخر لحديث أنس الذي أوردناه آنفًا.

فقد أخرج الحافظ الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢٢٧/٢) قال: أخبرنا الحسن بن أبي بكر، قال: أنبأنا عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم البغوي قال: أنبأنا محمد بن الحسين بن حريقا البزار قال: أنبأنا الحسن بن موسى الأشيب قال: أنبأنا أبو هلال عن قتادة عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحسدُ يأكل الحسنات كما تأكلُ النارُ الحطب». اهـ.

تحقيق هذا الطريق:

هذا الطريق فيه علل يرد بها منْ سَقْط في الإسناد وطَعْن في الراوي:

الأولى: الطعن في الراوي وهو أبو هلال:

١- قال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٥٨٤٥/٣١٨/١٦): «محمد بن سُلَيْم أبو هلال الراسبي من أهل البصرة كان نازلاً في بني راسب فنُسبَ إليهم، كان يحيى القطان لا يحدث عنه، كان يُخطئ كثيرًا من غير تعمد حتى صار يرفع المراسيل ولا يعلم، وأكثر ما كان يحدث من حفظه فوقع المناكير في حديثه من سوء حفظه.

وقال: «أخبرنا الهمداني قال: حدثنا عمرو بن علي قال: كان يحيى بن سعيد لا يحدث عن أبي هلال».

وقال: «وسمعت الحنبلي يقول: سمعت أحمد بن زهير يقول: سمعت يحيى بن معين يقول: كان أبو هلال الراسبي: حدثنا أحمد بن الحسين، حدثنا محمد بن عبد الله بن عمار قال: كان يحيى بن سعيد لا يعبأ بأبي هلال». اهـ.

قلت: ثم أخرج ابن عدي عدة أحاديث من منكرات أبي هلال الراسبي من طريق أبي هلال عن قتادة، عن أنس مرفوعًا ثم قال: «هذه الأحاديث لأبي هلال، عن قتادة، عن أنس كل

ذلك أو عامتها غير محفوظة». اهـ.

قلت: ولقد أقرَّ ذلك أئمة الجرح والتعديل كما هو مبين في كتاب «الجرح والتعديل» (١٤٨٤/٢٧٣/٧) للإمام الحافظ ابن أبي حاتم قال: «قال: حدثنا علي بن أبي طاهر فيما كتب إليَّ حدثنا أبو بكر الأثرم قال: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل عن أبي هلال يعني الراسبي قال: قد احتمل حديثه إلا أنه يخالف في حديث قتادة وهو مضطرب الحديث في قتادة». اهـ.

ثم قال: حدثنا الحسين بن الحسن قال: سألت يحيى بن معين عن أبي هلال الراسبي كيف روايته عن قتادة؟ فقال: فيه ضعف». اهـ. ومن قبل بينا أنه قال: هو ضعيف الحديث».

قلت: وهذا من دقيق فقه العلل عند أهل الصناعة الحديثية فقد بين ذلك الحافظ ابن رجب في «شرح علل الترمذي» (٦٢٤/٢) في بيان معنى قول ابن معين «هو عن قتادة ضعيف». اهـ. يعني ليس بشيء.

٥- قلت: ولما كان حديث «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» عن الخطيب في «التاريخ» من رواية أبي هلال عن قتادة عن أنس مرفوعًا كما بينا آنفًا ورواية أبي هلال عن قتادة شديدة الضعف مضطربة ليست بشيء غير محفوظة فالحديث واهٍ.

العلة الأخرى له: التدليس:

قتادة بن دعامة السدوسي البصري ذكره الحافظ ابن حجر في «طبقات المدلسين» المرتبة الثالثة رقم (٢٦) وقال: «هو مشهور بالتدليس». اهـ. وقد بيَّن في مقدمة هذا الكتاب منهجه في هذه المرتبة فقال: الثالثة: من أكثر من التدليس فلم يحتج الأئمة من أحاديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع».

ولما كان الحديث كما تبيَّن من التخريج آنفًا أخرجه الخطيب في «التاريخ من رواية أبي هلال عن قتادة عن أنس مرفوعًا ولم يصرح فيه قتادة بالسماع، بل رواه معنعنًا، فالحديث مردود بالسقط في الإسناد سقطًا خفيًا بالتدليس وبالطعن في الراوي أبي هلال خاصة وأن روايته عن أبي هلال خاصة وأن روايته عن أبي هلال باطلة فهذه الرواية أيضًا تزيد الحديث وهنًا على وهن.

هذا الحديث الذي خرجته لجنة إعداد وتطوير المناهج بالأزهر الشريف تخريجًا في الحاشية بغير تحقيق بل تخريجًا مقتضبًا من رواية واحدة. قالت: أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة، ويا ليتهم خرجوا رواية أبي هريرة كاملة، ولو أنهم فعلوا ذلك لوجدوا رواية أبي هريرة هذه أخرجها أمير المؤمنين في الحديث في «التاريخ الكبير» كما بينا آنفًا وحكم على الحديث بأنه «لا يصح».

سادسًا: الحديث الثاني

«المؤمنُ ليس بحقود»

هذا الحديث أورده أيضًا أبو حامد الغزالي في «الإحياء» (٤٦/١) في كتاب «العلم» باب «آفات المناظرة» تحت «آفة العقد» بصيغة الجزم فقال: «ومنها الحقد فلا يكاد المناظر يخلو عنه وقد قال صلى الله عليه وسلم: «المؤمن ليس بحقود».

قلت: ولقد نقلته لجنة إعداد وتطوير المناهج من المتخصصين بالأزهر في كتاب «المطالعة والإنشاء» (ص٤١) المقرر على الصف الثالث الثانوي بالأزهر الشريف بصيغة الجزم، وهذا الحديث لم تذكر له اللجنة تخريجًا ولا تحقيقًا في حاشية الكتاب، وهو الحديث الوحيد الذي ذكره أبو حامد الغزالي في هذه الآفة اللجنة وجعله أساسًا لها.

سابعًا: التحقيق:

١- قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٤٦/١): «حديث المؤمن ليس بحقود: لم أقف له على أصل». اهـ.

والله أسأل أن يجزي عن الإسلام والمسلمين لجنة تطوير المناهج بالأزهر الشريف خير الجزاء والتي قامت هذا العام بحذف قصة «الحوت المسمى بهموت، والذي يحمل الأرض على ظهره» من مقرر الصف الثاني من تفسير النسفي حيث أوردنا هذه القصة في هذه السلسلة: «سلسلة تحذير الداعية من القصص الواهية» الحلقة (١٥٤) عدد شعبان ١٤٣٤هـ.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

إجماع أئمة السلف المتبعين على إثبات الصفات الفعلية وغيرها من صفات الخبر دون ما تفرقة بينهما وصفات المعاني، وعلى نفي التشبيه والتجسيم عن الجميع

الحلقة (١٨)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد،

إعداد/ **د. محمد عبد العليم الدسوقي**

فبعد أن أوضحنا خطأ ما عليه المعطلة ومن تابعهم في قضية إنكار أو تأويل صفات الفعل بزعم تنزيه الله عما يوهم التشبيه أو التجسيم، وأن التنزيه لا يعني تعطيل ما وصف الله به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله، وإنما يعني: التسليم للنصوص المثبتة لها مع نفي مشابهة صفات الله لصفات خلقه، وبعد أن سقنا لذلك كلام الإمام الجويني وكلام إمام المذهب أبي الحسن الأشعري في ترسيخ هذه المعاني، من المهم - حتى نقطع الطريق على من يتعصبون إلى مذهب جهم بن صفوان تاركين وراء ظهورهم ما كان عليه سيد الموحدين وصحابته الغر الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين - أن نشير إلى أن جميع أئمة الدين من أهل السنة على ذلك ولم يشذ منهم أحد.. ونذكر منهم:

١ - أقوال أئمة الإسلام في نفي التشبيه والمثلية عن صفات الأفعال وغيرها، مع إثباتها:

قول ابن الماجشون ت ١٦٤، فقد نص - قبيل ما سبق أن نقلناه عنه آنفاً، وأبان رده على الجهمية خوضهم في الكيف الذي أفضى بهم إلى التشبيه فالتعطيل - على أن الجهمية «إنما أمرُوا بالنظر والتفكر فيما خَلق، وإنما يقال: (كيف) لمن لم يكن مرة ثم كان، أما من لا يحول ولا يزول ولم يزل وليس له مثْل، فإنه لا يَعلم كيف هو إلا هو».. وقول أبي يوسف القاضي يعقوب ت ١٨٢، كما في التوحيد ٣/ ٣٠٦ لابن مندة، قال: «أمَرنا الله أن نوحده، وليس التوحيد بالقياس لأن القياس يكون في شيء له شَبَه ومثل، والله تعالى وتقدس لا شبه له ولا مثل له».. وقول فقيه العراق وتلميذ أبي حنيفة محمد بن الحسن ت ١٨٩: «اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب من غير تفسير - يعني: قال به الجهمية والمؤولة الذين ابتدعوا تفسيرات للصفات تخرجها عن ظاهرها وتفضي إلى تعطيلها - ولا وصف ولا

> ”
> أجمع أئمة السلف على إثبات صفات الله تعالى الفعلية وغيرها من صفات الخبر دون تفرقة بينهما.
> “

تشبيه، فمن فسر شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي وفارق الجماعة، فإنهم لم ينفوا ولم يفسروا، ولكن آمنوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا، فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة، لأنه وصفه بصفة لا شيء»، وكان جهم هذا قد سُئل عن صفة الله فدخل بيته ثم خرج بعد أيام فقال: (هو هذا الهواء مع كل شيء وفي كل شيء)، قال أبو معاذ البلخي معلقاً: (كذب عدو الله، بل الله على العرش كما وصف نفسه)، فأثبت له تعالى فعل الاستواء الذي نفاه جهم وتبعه في نفيه متأولة الأشاعرة إلى يوم الناس هذا، فإنهم ما أوَّلوا إلا بعد أن شبهوا ثم عطلوا.

وممن نصَّوا على نفي التشبيه عن عموم الصفات مع إثباتها: نعيم بن حماد ت ٢٢٨ – وذلك فيما ذكره له الذهبي في العلو واللالكائي في شرح السنة – قال: «مَن شبَّه الله بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهاً».. وشيخ البخاري إسحاق بن راهويه ت ٢٣٨ قال – وقد نقله عنه الذهبي في العلو –: «إنما يكون التشبيه لو قيل: (يد كيد، وسمع كسمع أو مثل سمع)، فإذا قال: (سمع كسمع أو مثل سمع) فهذا التشبيه، وأما إذا قال: (يد وسمع وبصر كما قال الله)، ولا يقول: (كيف؟)، ولا يقول: (مثل)، فهذا لا يكون تشبيها، وهو كما قال الله: (ليس كمثله شيء)».

> ”من عطل شيئاً من صفات الله باخراجها عن ظاهرها فقد خرج مما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فإنهم لم ينفوا ولم يفسروا.“

ولأحمد بن حنبل ت ٢٤١ قبيل موته قوله: «أخبار الصفات تمر كما جاءت بلا تشبيه ولا تعطيل».. وللمزني فقيه الديار المصرية في زمانه ت ٢٦٤ قوله فيما نقله عنه الذهبي في العلو: «الحمد لله.. جلَّ عن المثل، فلا شبيه له ولا عديل.. صفاته غير مخلوقات، دائمات أزليات، ليست محدثات فتبيد، ولا كان ربنا ناقصاً فيزيد، جلت صفاته عن شَبَه المخلوقين، عالٍ على عرشه بائنٌ من خلقه»..

وللدارمي ت ٢٨٠ قوله في (الرد على المريسي) ومن قال بقوله، كما في (عقائد السلف) للنشار ص ٢٩٤: «أما قولك: إن كيفية هذه الصفات وتشبيهها بما هو موجود في الخلق خطأ، فإنا لا نقول إنه خطأ كما قلتَ بل هو عندنا كفر، ونحن لكيفيتها وتشبيهها بما هو موجود في الخلق أشد أنَفاً منكم، غير أنَّا كما لا نشبهها ولا نكيفها، لا نكفر بها ولا نكذب، ولا نبطلها بتأويل الضُّلَّال».

وكان مما جاء في عبارة ابن سريج فقيه العراق بعد أن ذكر الكثير من صفات الفعل والخبر، قوله كما في العلو واجتماع الجيوش: «اعتقادنا في جميع ما نطق به المصطفى وفي الآي المتشابهة – يعني من ناحية الكيف –: أن نقبلها ولا نردها ولا نتأولها بتأويل المخالفين ولا نحملها على تشبيه المشبهين ولا نزيد عليها ولا ننقص منها ولا نكيفها، ولا نُترجم عن صفاته بلغة غير العربية، ولا نشير إليها بخواطر القلوب ولا بحركات الجوارح، بل نطلق ما أطلقه الله ونفسر ما فسره النبي وأصحابه والتابعون والأئمة المرضيون من السلف المعروفين بالدين والأمانة، ونُجمع على ما أجمعوا عليه ونُمسك عما أمسكوا عنه ونُسَلم للخبر الظاهر والآية الظاهر تنزيلها، لا نقول بتأويل المعتزلة والأشعرية والجهمية والملحدة والمجسمة والمشبهة والكرامية والمكيفة، بل نقبلها بلا تأويل ونؤمن بها بلا تمثيل، ونقول: الإيمان بها واجب والقول بها سنة وابتغاء تأويلها بدعة» ا.هـ

وعن شيخ المالكية في عصره محمد بن القاسم المصري ت ٣٥٥ قوله – كما في العلو –: "الحمد لله أحق ما بدا.. جل عن المثل، بلا شَبَه ولا عدل".. وعن الإمام الخطَّابي تَ ٣٨٨ كما في الفتح ١٣/ ٤١٧ قوله: "وليس اليد عندنا الجارحة إنما هي صفة جاء بها التوقيف، فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة"، وقوله كما في العلو: "فأما الكلام في الصفات وما

جاء منها في الكتاب والسنن الصحيحة، فإن مذهب السلف: إثباتها وإجراؤها على ظاهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها"..

وعن ابن أبي زمنين ت ٣٩٩ في كتابه (أصول السنة) قوله: "صفات ربنا التي وصف بها نفسه في كتابه ووصفه بها نبيه صلى الله عليه وسلم، ليس في شيء منها تحديد ولا تشبيه ولا تقدير".. وعن الإمام الزاهد معمر بن زياد ت ٤١٨، قوله في وصية له: "أحببت أن أوصي أصحابي بوصية من السنة، وأجمعُ ما كان عليه أهل الحديث وأهل التصوف والمعرفة"، إلى أن قال: "وأن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل".. وعن أبي بكر الخطيب ت ٤٦٣ فيما نقله عنه الذهبي في العلو وابن قدامة في (ذم التأويل)، قوله: "أما الكلام في الصفات، فأما ما روي منها في السنن الصحاح فمذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها، والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات ونحتذي في ذلك حذوه ومثاله، وإذا كان معلوماً أن إثبات رب العالمين إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فكذلك إثبات صفاته، فإذا قلنا: (يد) و(سمع) و(بصر)، فإنما هو إثبات صفات أثبتها الله لنفسه، ولا نقول: إن معنى (اليد): (القدرة)، ولا إن معنى (السمع) و(البصر): (العلم).. ولا نقول: إنها جوارح وأدوات للفعل، ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل، ونقول: إنما وجب إثباتها لأن التوقيف ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنها".

> ”استواء الله تعالى على عرشه معلوم ، وكيفيته مجهولة، والسؤال عن ذلك من البدع المحدثات .“

ومما أورده الذهبي في العلو عن الأصبهاني ت ٥٣٥، قوله: "مذهب مالك والثوري والأوزاعي والشافعي وحماد بن سلمة وحماد بن زيد وأحمد والقطان وابن مهدي وابن راهويه: أن صفات الله التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله من السمع والبصر والوجه واليدين وسائر أوصافه، إنما هي على ظاهرها المعروف المشهور، من غير كيف يتوهم فيها، ولا تشبيه ولا تأويل".. ومن كلام الحافظ الذهبي نفسه في العلو ص ١٠٤ تعليقاً على ما قاله مالك من أن (الاستواء معلوم والكيف مجهول): "وهو قول أهل السنة قاطبة، أن: كيفية الاستواء لا نعقلها بل نجهلها، وأن استواءه معلوم كما أخبر في كتابه، وأنه كما يليق به، لا نتعمق ولا نتحذلق ولا نخوض في لوازم ذلك نفياً ولا إثباتاً، بل نسكت ونقف كما وقف السلف، ونعلم أن لو كان له تأويل لبادر إلى بيانه الصحابة والتابعون، ولما وسعهم إقراره وإمراره والسكوت عنه، ونعلم يقيناً مع ذلك أن الله لا مثل له في صفاته ولا في استوائه ولا في نزوله، تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً".

ويقول ابن قدامة المقدسي ت ٦٢٠ في لمعة الاعتقاد - وبنحوه في ذم التأويل - بعد أن ذكر جملة من الصفات: "فهذا وما أشبهه مما صح سنده وعُدِّلت رواته، نؤمن به ولا نرده ولا نجحده، ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره، ولا نشبهه بصفات المخلوقين ولا بسمات المحدَثين، ونعلم أن الله لا شبيه له ولا نظير، وكل ما تخيل في الذهن أو خطر بالبال فإن الله بخلافه"..

ويقول الحافظ ابن كثير ت ٧٧٤ في تفسيره (ثم استوى على العرش.. الأعراف/ ٥٤) - وبنحوه في رسالة (العقائد) -: "الظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله، فإن الله لا يُشْبِهُه شيء من خلقه وليس كمثله شيء وهو السميع البصير، بل الأمر كما قال الأئمة، منهم: نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري قال: من شبه الله بخلقه كفر،

ومن جحد ما وصف الله به نفسه كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت لله ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله، ونفى عنه النقائص فقد سلك سبيل الهدى".. والحق أن كلام الأئمة في هذا أكثر من أن يحصى.

٢-نصوصهم – وعلى رأسهم الأشعري– في نفي التجسيم والحدوث عن صفات الأفعال مع إثباتها:

وقد كثرت مقولات أئمة الهدى في نفي التجسيم بجميع لوازمه عن صفات الأفعال وغيرها، ونذكر منها على سبيل المثال:

مقولة إمام المذهب أبي الحسن الأشعري، فقد ذكر في كتابه (مقالات الإسلاميين) ص ٢١١ – ونقله عنه كالمؤيدين له صاحبا الحموية والعلو – ما نصه: "قال أهل السنة وأصحاب الحديث – وبالطبع فالأشعري في آخر ما ختم به حياته يمثل إماماً ورأساً من رؤوسهم –: ليس سبحانه بجسم ولا يشبه الأشياء، وأنه على العرش كما قال: (ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ) طه/ ٥)، ولا نقدم بين يدي الله في القول، بل نقول: استوى بلا كيف، وأنه نور كما قال: (ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ) النور/ ٣٥)، وأن له وجهاً كما قال: (وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ) الرحمن/ ٢٧)، وأن له يدين كما قال: (خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) ص/ ٧٥)، وأن له عينين كما قال: (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) القمر/ ١٤)، وأنه يجيء يوم القيامة هو وملائكته كما قال: (وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) الفجر/ ٢٢)، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا كما جاء في الحديث، ولم يقولوا شيئاً إلا ما وجدوه في الكتاب أو جاءت به الرواية عن رسول الله".

وفي كلام له في غاية الدقة والأهمية، يقول الأشعري في الإجماع الخامس برسالته إلى أهل الثغر ص ٢١٨: "لا يجب إذا أثبتنا هذه الصفات له عز وجل على ما دلت العقول واللغة والقرآن والإجماع عليها، أن تكون محدَثة، لأنه تعالى لم يزل موصوفاً بها، ولا يجب أن تكون أعراضاً لأنه لم يكن جسماً وإنما توجد الأعراض في الأجسام، ويُدل بأعراضها فيها وتعاقبها عليها على حدثها.. كما لا يجب أن تكون نفس الباري عزوجل جسماً أو جوهراً أو محدوداً أو في مكان دون مكان أو في غير ذلك مما لا يجوز عليه من صفاتنا لمفارقته لنا".

وفي كلام لا يقل أهمية عن سابقه يقول في الإجماع الثامن ص ٢٢٧: "وأجمعوا على أنه يجيء يوم القيامة والملك صفاً صفاً لعرض الأمم وحسابها وعقابها وثوابها، فيغفر لمن يشاء من المذنبين ويعذب منهم من يشاء كما قال، وليس مجيئه حركة ولا زوالاً، وإنما يكون المجيء حركة وزوالاً إذا كان الجائي جسماً أو جوهراً، فإذا ثبت أنه عز وجل ليس بجسم ولا جوهر لم يجب أن يكون مجيئه نقلة أو حركة، ألا ترى أنهم لا يريدون بقولهم: (جاءت زيداً الحمى)، أنها تنقلت إليه أو تحركت من مكان كانت فيه إذ لم تكن جسماً ولا جوهراً، وإنما مجيئها إليه وجودها به، وأجمعوا على أنه عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا وليس نزوله نقلة، لأنه ليس بجسم ولا جوهر، وقد نزل الوحي على النبي عند من خالفنا"ا.هـ.

> ” أجمع السلف على أن الله يجيء يوم القيامة والملك صفا صفا لعرض الأمم وحسابها وعقابها وثوابها. “

فهؤلاء هم أهل السنة والجماعة، يسوق الأشعري إجماعهم الذي لم يخرمه ولا يتأتى لأحد مهما عظم أمره أن يخرمه بمخالفته، والذي تمثل في: أن تنزيه الله إنما يكون بإثبات كل ما أطلقه على نفسه بما في ذلك ما جاءت به الآيات والأحاديث التي أسماها الأشاعرة بالظواهر الموهمة، إثباتاً بلا كيف ولا تأويل، وتنزيهاً بدون تعطيل أو تجسيم أو تشبيه لصفات المخلوقين، وهذا هو صواب ما أخطأ فيه الآخرون في معنى تنزيه الله تعالى.. فالأشعري حاله في تنزيه الله كحال السلف، هو محافظ على مبدأ التنزيه، مقاوم للمعطلة بتأويلاتهم غير المستندة على نص الذين ينفونها.

وإلى لقاء آخر نستكمل الحديث.. والحمد لله رب العالمين.

الشتاء والدعاء

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى وبعد...

فمعلوم أن فصل الشتاء تحدث فيه -بإذن الله تعالى- ظواهر مناخية، مثل الريح والرياح والبرق، والرعد والأمطار، وقد علمنا النبي المختار صلى الله عليه وسلم آدابا وأدعية وأذكارا تقال في مثل هذه الحالات؛ حتى تعود علينا بالنفع والأجور الكثيرة.

إعداد/ **صلاح عبد الخالق محمد**

أولا: الرياح والريح:

١- الرياح والريح في كتاب الله:

- جاءت كلمة الرياح في القرآن الكريم في عشر آيات كلها رحمة وعطايا وخيرات فمثلا قوله تعالى: (وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ) (الروم: ٤٦).

- وجاءت كلمة الريح في القرآن الكريم في عشرين آية معظمها عذاب وعقاب وخراب فمثلا: قوله تعالى (رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ) (الأحقاف: ٢٤- ٢٥).

٢- فزع النبي صلى الله عليه وسلم من الريح:

أ- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما هبَّت الريح إلا جثا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتيه وقال «اللَّهُمَّ اجْعَلْها رَحْمَةً وَلا تَجْعَلْها عَذابًا، اللَّهُمَّ اجْعَلْها رِياحًا، وَلا تَجْعَلْها رِيحًا». (صحيح أخرجه الإمام الشافعي في «الأم»: ١/ ٢٥٣).

ب- عن عَائِشَةَ، زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ يَوْمُ الرِّيحِ وَالْغَيْمِ، عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، فَإِذَا مَطَرَتْ سُرَّ بِهِ، وَذَهَبَ عَنْهُ ذَلِكَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: «إِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ عَذَابًا سُلِّطَ عَلَى أُمَّتِي»، وَيَقُولُ، إِذَا رَأَى الْمَطَرَ: «رَحْمَةٌ» صحيح مسلم (٨٩٩).

ج- كان أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يَقُولُ: «كَانَتِ الرِّيحُ الشَّدِيدَةُ إِذَا هَبَّتْ عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» صحيح البخاري(١٠٣٤).

- معنى الحديث: يقول أنس رضي الله عنه: كانت الريح الشديدة إذا هبت عُرف ذلك في وجه النبي صلى الله عليه وسلم أي: أصابه فزع شديدٌ وظهرت آثار الخوف والقلق على وجهه الشريف، خشية أن تكون تلك الريح إعصاراً مدمِّراً، أو عقوبة سماوية، كتلك التي وقعت لقوم هود، فكانت عليهم عاصفة شديدة، قلعت أشجارهم وهدَّمت ديارهم، كما قال تعالى في وصف ما أحدثته فيهم من كوارث (تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا)، حتى أنها كانت تَرفعُ المرأة بين السماء والأرض كأنها جرادة، وكانت ترميهم بالحجارة فتدق أعناقهم، ولهذا كان صلى الله عليه وسلم إذا اشتدت الريح يخشى أن تُصاب أُمَّتَه بما أصيب به أولئك.

ويُستفاد من الحديث: أنه يُستحب استشعار الخوف عند هبوب الرياح والعواصف الشديدة، وذلك من الفطنة؛ لأنَّ الريح كثيراً ما تكون دماراً خراباً وعذاباً، كما تدل عليه الحوادث المتكررة على مر العصور والأزمان. منار القاري (٢/ ٢٩٠).

- **ماذا أفعل مع الريح؟**

١- لا تسب ولاتشتم الريح:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ فَإِنَّهَا مِنْ رَوْحِ اللهِ تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ وَالْعَذَابِ، وَلَكِنْ سَلُوا اللهَ مِنْ خَيْرِهَا وَتَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ شَرِّهَا» صحيح سنن ابن ماجه (٣٧٢٧)، وأبي داود (٥٠٨٨).

- قال الشافعي رحمه الله: لا ينبغي لأحد أن يسبَّ الرياح؛ فإنها خلقٌ لله تعالى مطيع، وجندٌ من أجناده، يجعلها رحمةً ونقمةً إذا شاء. الأذكار للنووي (١/١٨٠).

- لا تشتموها-أي الريح - ولا تلعنوها للحوق ضرر فيها؛ فإنها خلق من خلق الله مقهور مدبر، وإنما تهب بمشيئة الله وقدرته، فلا يجوز سبها فيرجع السب إلى من خلقها وسخرها.

- النهي عن سب الريح؛ لكونها إنما تهب عن إيجاد الله لها وأمره إياها، فلا تأثير لها إلا بأمر الله، فمسبتها مسبة لله تعالى واعتراض عليه، وهو قدح في التوحيد. حاشية كتاب التوحيد (١/٣٥٦).

- قَوْلُهُ: (فَإِنَّهَا مِنْ رُوحِ اللَّهِ) قِيلَ: الرُّوحُ النَّفَسُ وَالْفَرَجُ وَالرَّحْمَةُ فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ يَكُونُ الرِّيحُ مِنْ رَحْمَتِهِ مَعَ أَنَّهَا تَجِيءُ بِالْعَذَابِ. قُلْتُ: إِذَا كَانَ عَذَابًا لِلظَّلَمَةِ فَيَكُونُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، وَأَيْضًا الرُّوحُ بِمَعْنَى الرَّائِحِ أَيِ الْجَائِي مِنْ حَضْرَةِ اللَّهِ بِأَمْرِهِ تَارَةً لِلْكَرَامَةِ وَأُخْرَى لِلْعَذَابِ فَلَا يَعِيبُ فَإِنَّهُ تَأْدِيبٌ وَالتَّأْدِيبُ حَسَنٌ. حاشية السندي (٢/٤٠٤).

> الريح كثيراً ما تكون دماراً وخراباً وعذاباً، كما تدل عليه الحوادث المتكررة على مر العصور والأزمان.

٢- اللجوء إلى الله تعالى بالدعاء:

- عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا عَصَفَتِ الرِّيحُ، قَالَ: «اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ» صحيح مسلم (٨٩٩).

- أرشدهم صلى الله عليه وسلم بالرجوع إلى خالقها وآمرها الذي أزِمَّة الأمور كلها بيده، ومصدرها عن قضائه أن يسألوه خيرها وخير ما فيها، والاستعاذة به من شرها وشر ما فيها، فما استجلبت نعمه بمثل طاعته وشكره، ولا استدفعت نقمه بمثل الالتجاء إليه والتعوذ به والاضطرار إليه ودعائه، شرع الله لعباده أن يسألوه ما ينفعهم، ويستعيذوا به من شر ما يضرهم، ففيه عبودية الله وحده، والطاعة له، والايمان به، واستدفاع الشرور به، والتعرض لفضله ونعمته، وهذه حال أهل التوحيد. حاشية كتاب التوحيد (١/٣٥٦).

ثانيا: البرق والرعد:

١- قال تعالى: (هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ) (الرعد: ١٢).

البرق: يخاف منه الصواعق والهدم وأنواع الضرر، على بعض الثمار ونحوها ويطمع في خيره ونفعه. تفسير السعدي (١/٤١٤).

البرق: ضوء قويّ يَلمعُ في السَّماء على أثَر تفريغ كَهْربائيّ في السَّحاب. (معجم اللغة العربية المعاصرة: ١/١٩٢).

٢- قال تعالى: «وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ» (الرعد: ١٣).

- يسبِّح الرعد له تسبيحاً مقترناً بحمده والثناء عليه وتسبيحُ الرعد حقيقةٌ دلَّ عليها القرآن فنؤمن بها وإن لم نفهم تلك الأصوات فهو تعالى لا يخبر إلا بما هو حقٌّ كما قال: «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ» (الإسراء: ٤٤). صفوة التفاسير (٢/٧١).

- الرعد: صوتٌ يُدوِّي في السَّماء عقب وميض البرق، وهو ناتج عن اصطكاك السحاب» (معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/٩٠٧)».

ومن الآداب والأدعية والأذكار في البرق والرعد:

أ- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَقْبَلَتْ يَهُودُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ،

أَخْبِرْنَا عَنِ الرَّعْدِ مَا هُوَ؟ قَالَ: «مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ مَعَهُ مَخَارِيقُ مِنْ نَارٍ يَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ» فَقَالُوا: فَمَا هَذَا الصَّوْتُ الَّذِي نَسْمَعُ؟ قَالَ: «زَجْرَةٌ بِالسَّحَابِ إِذَا زَجَرَهُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى حَيْثُ أُمِرَ» قَالُوا: صَدَقْتَ. سنن الترمذي (٣١١٧) صححه الألباني.

ب- عن عبد الله بن الزبير: أنه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث، وقال: «سبحان الذي يسبح الرعد بحمده. والملائكة من خيفته»، (الرعد: ١٣) ثم يقول: «إن هذا لوعيد شديد لأهل الأرض» صحيح الأدب المفرد.(٥٦٠).

ج - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا مَعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي سَفَرٍ، فَأَصَابَنَا رَعْدٌ وَبَرْقٌ وَبَرَدٌ، فَقَالَ لَنَا كَعْبٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الرَّعْدَ: سُبْحَانَ مَنْ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ - ثَلَاثًا - عُوفِيَ مِنْ ذَلِكَ الرَّعْدِ، فَقُلْنَا فَعُوفِينَا. أخرجه الطبراني وحسنه ابن حجر كما في الفتوحات الربانية لابن علان (٤ / ٢٨٦).

ثالثا: الأمطار: من الآداب المختصة بالمطر، منها:

١- لا يدري متى يجيء المطر إلا الله سبحانه:

أ - قال تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ) (لقمان: ٣٤).

> ”في الحديث: اطلبوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش، وإقامة الصلاة، ونزول الغيث.“

ب - عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِفْتَاحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لاَ يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ: لاَ يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي غَدٍ، وَلاَ يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي الأَرْحَامِ، وَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَمَا يَدْرِي أَحَدٌ مَتَى يَجِيءُ المَطَرُ» صحيح البخاري(١٠٣٩).

-» مفتاح الغيب خمس «وإنما وصف هذه الخمسة وسماها مفتاح الغيب، لأنها أهم الأمور الغيبية التي حجبها الله عن علم الإنسان وإدراكه الحسي والعقلي، ولأن بعض الكهنة والعرافين يدعي العلم بها، ولهذا ذكرها - صلى الله عليه وسلم -، ونفى أن يعلم بها أحد، فقال: « لا يعلمها إلا الله.

- أما معرفة الإنسان بنزول المطر بواسطة الأرصاد الجوية فإن ذلك بعد ظهور العلامات، وليس غيباً، وكذلك معرفة الطبيب بالجنين ذكراً أو أنثى فإنه بعد التخلق وليس غيباً. منار القاري (٢/٢٩٢).

٢ - الدعاء إذا رأى المطر:

أ- روى الشافعي في « الأم » عن مكحول، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «اطلبوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش، وإقامة الصلاة، ونزول الغيث» صحيح الجامع (١٠٢٦).

ب- لحديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا رأى المطر قال: «اللهم صيبا نافعا» صحيح البخاري (١٠٣٢).

- معنى الحديث: تحدثنا عائشة رضي الله عنها: «أنَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا رأى المطر قال: صَيِّباً نافعاً » أي: يسأل الله تعالى ويتضرع إليه أن يجعل هذا المطر كثيراً غزيراً نافعاً للإنسان والحيوان سقيا رحمة، تُنْبِتُ بها الأرض أعشابها، وتخرج من خيراتها، وتدر المواشي من ألبانها، لا سقيا عذاب تهدم وتغرق.

ويستفاد منه: استحباب الدعاء عند نزول الأمطار، كما كان - صلى الله عليه وسلم - يدعو؛ لأن الدعاء عندها مستجاب. منار القاري (٢/٢٩٠).

٣ - ما يفعل إذا أصابه المطر:

قال تعالى: (وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا) (الفرقان: ٤٨).

عن أنس رضي الله عنه قال: أصابنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مطر، قال: فحسر رسول الله صلى

الله عليه وسلم ثوبه حتى أصابه من المطر، فقلنا يا رسول الله لِمَ صنعت هذا؟ قال: «لأنه حديثُ عهدٍ بربه» صحيح مسلم (٨٩٨).

- قَوْلُهُ حَسَرَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ ثَوْبَهُ حَتَّى أَصَابَهُ الْمَطَرُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّه لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟ قَالَ: (لأَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّه) مَعْنَى حَسَرَ: كَشَفَ، أَيْ كَشَفَ بَعْضَ بَدَنه وَمَعْنَى حَدِيثُ عهد بربه أَيْ بتكوين ربه إياه، ومعناه أَنَّ الْمَطَرَ رَحْمَةٌ وَهِيَ قَرِيبَةُ الْعَهْد بِخَلْقِ اللَّه تَعَالَى لَهَا فَيُتَبَرَّكُ بِهَا. وَفِي هَذَا الْحَدِيث دَلِيلٌ لِقَوْلِ أَصْحَابِنَا أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ عِنْدَ أَوَّلِ الْمَطَر أَنْ يَكْشِفَ غَيْرَ عَوْرَته لِيَنَالَهُ الْمَطَرُ، وَاسْتَدَلُّوا بِهَذَا، وَفِيه أَنَّ الْمَفْضُولَ إِذَا رَأَى مِنَ الْفَاضِل شَيْئًا لا يَعْرِفُهُ أَنْ يَسْأَلَهُ عَنْهُ لِيُعَلِّمَهُ فَيَعْمَلَ بِه وَيُعَلِّمَهُ غيره. (شرح النووي: ١٩٦/٦).

٤- إذا كثر المطر وزاد عن حده:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يَخْطُبُ يَوْمَ جُمُعَةٍ، فَقَامَ النَّاسُ، فَصَاحُوا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه، قَحَطَ الْمَطَرُ، وَاحْمَرَّت الشَّجَرُ، وَهَلَكَت الْبَهَائِمُ، فَادْعُ اللَّه يَسْقِينَا، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اسْقِنَا» مَرَّتَيْنِ، وَايْمُ اللَّه، مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً مِنْ سَحَابٍ، فَنَشَأَتْ سَحَابَةٌ وَأَمْطَرَتْ، وَنَزَلَ عَنِ الْمِنْبَرِ فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ، لَمْ تَزَلْ تُمْطِرُ إِلَى الْجُمُعَةِ الَّتِي تَلِيهَا، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يَخْطُبُ، صَاحُوا إِلَيْه تَهَدَّمَت الْبُيُوتُ، وَانْقَطَعَت السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّه يَحْبِسْهَا عَنَّا، فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلا عَلَيْنَا» فَكَشَطَتْ الْمَدِينَةُ، فَجَعَلَتْ تَمْطُرُ حَوْلَهَا وَلا تَمْطُرُ بِالْمَدِينَة قَطْرَةٌ، فَنَظَرْتُ إِلَى الْمَدِينَة وَإِنَّهَا لَفِي مِثْلِ الإِكْلِيلِ. صحيح البخاري (١٠٢١).

> ”عندما كان ينزل المطر كان النبي صلى الله عليه وسلم يحسر ثوبه ليتبلل ويقول: «حديث عهد بربه».“

(احمرت الشجر) تغير لونها من الخضرة إلى الحمرة من شدة اليبس. (فكشطت) انكشفت. (الإكليل) كل ما أحاط بالشيء والعصابة تزين بالجواهر) قد سمى الله كثرة المطر أذىً فقال: (إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ) (النساء: ١٠٢).

- فيه من الفقه: استعمال أدب النبي، (صلى الله عليه وسلم)، المهذب وخلقه العظيم؛ لأنه لم يدع الله ليرفع الغيث جملة لئلا يرد على الله فضله وبركته وما رغب إليه فيه، وسأله إياه فقال: (اللهم على رءوس الجبال والآكام وبطون الأودية ومنابت الشجر) ؛ لأن المطر لا يضر نزوله في هذه الأماكن وقال: - قال: (اللهم حوالينا ولا علينا)، فيجب امتثال ذلك في نعم الله إذا كثرت ألا يسأل أحد قطعها وصرفها عن العباد. شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٣/٣).

الذكر بعد نزول المطر: عَنْ زَيْد بْنِ خَالِد الْجُهَنِيِّ، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ صَلاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَة فِي إِثْرِ السَّمَاءِ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاس فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللَّه وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: « قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّه وَرَحْمَته فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ « صحيح البخاري (١٠٣٨) صحيح مسلم (٧١).

- قال العلماء: إن قال مسلم: مُطرنا بنوْء كذا، مريداً أن النَّوْءَ هو الموجد والفاعل المحدثُ للمطر، صارَ كافراً مرتدّاً بلا شكّ، وإن قاله مُريداً أنه علامة لنزول المطر، فينزل المطر عند هذه العلامة، ونزوله بفعل الله تعالى وخلقه ، لم يكفر. واختلفوا في كراهته، والمختار أنه مكروه، ولأنه من ألفاظ الكفّار، وهذا ظاهر الحديث، ونصّ عليه الشافعي رحمه الله في « الأمّ « وغيره، والله أعلم. ويُستحبّ أن يشكر الله سبحانه وتعالى على هذه النعمة، أعني نزول المطر. (الأذكار للنووي: ١٨٢/١).

والحمد لله رب العالمين.

أُصُولُ مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ وجَوَامِعُهَا

مَآثِرُ الصِّدْقِ وَأَثَرُهُ فِي حَيَاةِ المُسْلِمِينَ

الحلقة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فنكمل حديثنا عن الصدق في هذه الحلقة، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

إعداد/ د. عماد عيسى

الصدقُ مع النفس:

الصادقُ مع نفسه نَقيُّ المدخل والمخرج، حَسَنُ السِّيرَة، مُحسنُ السريرَة، صَافِي المشرَب، طيبُ المطلب، وقد كان سلفُنا الصالحُ أكثرُ الناس صدقًا مع أنفسهم، فكانُوا فيه الغايةَ حتى بلَغُوا منهُ- أو كَادُوا- النِّهايَةَ، ومَعَ هَذَا كَانُوا يَتَّهمونَها ويُـزرُونَ عَلَيْها.

رَوَى هِشَامُ بنُ حَسَّان، عَنْ مُحَمَّد بن وَاسع: قِيْلَ لَه: كَيْفَ أَصْبَحت؟ قَالَ: قَرِيْباً أَجَلِي، بَعِيْداً أَمَلِي، سَيِّئاً عَمَلِي (السير ٦/١٢١) وَقارنْ هَذَا بِمَا حَكَاهُ الأَصْمَعِيُّ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا صَافَّ قُتَيْبَةُ بنُ مُسْلم للتُّرك، وَهَالَهُ أمرُهم، سَأَلَ عَنْ مُحَمَّد بن وَاسع؟ فقِيْلَ: هُوَ ذَاكَ فِي المَيْمَنَة، جَامحٌ على قَوسه، يُبَصبصُ بأُصْبُعه نَحْوَ السَّمَاء، قَالَ: تِلْكَ الأُصْبُعُ أَحَبُّ إِليَّ مِنْ مائَة أَلْف سَيْف شَهِيْر، وَشَابٍّ طَرِيْر (السير: ٦/١٢١).

وَلَقَدْ كَانُوا يَعُدُّونَ ذَلكَ مِنْ علاَجِ النُّفُوس وَشِفَاءِ الصُّدُور، بَل قَال بعضهم: أَنْفَعُ الصِّدْقِ أَنْ تُقرَّ للّه بعُيُوبِ نَفْسِكَ (الحلية: ٩/٢٨٢).

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ يَشَمُّ رَائحَةَ الصِّدْقِ عَبْدٌ دَاهَنَ نَفْسَهُ أَوْ غَيْرَهُ اهـ مدارج السالكين ٢/٢٦٤، الفوائد: ص ٩٩.

قَالَ الوَلِيْدُ بنُ مُسْلم: سَأَلْتُ الأَوْزَاعِيَّ، وَسَعِيْدَ بنَ عَبْدِ العَزِيْزِ، وَابْنَ جُرَيْجٍ: لِمَنْ طلبتُمُ العلمَ؟

كُلُّهم يَقُوْلُ: لنَفْسِي، غَيْرَ أَنَّ ابْنَ جُرَيْجٍ، فَإِنَّهُ قَالَ: طَلَبْتُهُ للنَّاس.

قُلْتُ: مَا أَحْسَنَ الصِّدْقَ، وَاليَوْمَ تَسْأَلُ الفَقِيْهَ الغَبِيَّ: لِمَنْ طلبتَ العلْمَ؟ فَيُبَادرُ، وَيَقُوْلُ: طَلَبْتُهُ للّه، وَيَكْذبُ، إِنَّمَا طَلَبَهُ للدُّنْيَا، وَيَا قلَّةَ مَا عَرَفَ منْهُ (السير: ٦/٣٢٨).

الكذب أدوى الأدواء:

الكذبُ داءٌ من أدوى الأَدْوَاءِ، سبيلُ أصحابهَا أسوأُ سبيل، ومَقيلُ أهلها شَرُّ مَقيل، مَن ابتُلي بِه فَنَفعُه قليلٌ، وَضَررُه وَبِيلٌ، بل لاَ يُرجَى فلاحُه، ولا يلُوحُ نَجاحه، إنه يصُمُّ الآذانَ عن الحقِّ ويُعمِي البصائرَ، ويظلمُ القلوبَ، ويفسدُ السرائرَ، ويُوقعُ فِي النُّفوس من المحنِ والإحنِ ضرائرَ، ويخالفُ بصَاحبه الطريقَ، ويفرِّقُ من النَّاسِ الفَريقَ، ويُسوِّدُ الوجهَ حتَّى كأنَّه مسْخٌ أسْودُ، قال تعالى: " وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ " الزمر: ٦٠.

ومَا منْ كَاذب إلاَّ وعَلَيْه سَرَابيلُ منَ الخَيبَةِ والعَارِ، وتَغْشى وَجْهَه سَحَابَةُ ذُلٍّ وهَوَان، يَعْرفُ ذلكَ المتَفَرِّسونَ، ومَنْ بَلَغَ هذَا المبلغَ فبطنُ الأرْض - وَاللّه- خيرٌ لَهُ من ظَهْرهَا، ومخالطَةُ الوحوش أسلَمُ من مُخَالطَته.

ومَا أصَابَنا ما أصابَنا من الهزِيمة- بل الهزائم - إلا بتخلُّف الأمَّة عن فَضيلَة الصِّدق.

فالكَذبُ آفةٌ قاتلةٌ، وكم قَصَمَ الكذبُ ظهورًا فَردَّها عَلَى

أدبَارهَا حَائرةَ ثَكلَى؟ وَكَمْ خَيَّبَ مَسْعَى أقْوَامٍ بَعْدَ مَا كَانَ يُرْجَى خَيْرُهُمْ؟ وَقَدْ خَابَ مَنْ كَذبَ وافْتَرَى.

وَمِنْ حرْمَانه وخُذْلانه مَا قَالَهُ رَافِعُ بنُ أشْرَسٍ: كَانَ يُقَالُ: مِنْ عُقوبَةِ الكَذَّابِ أنْ لا يُقْبَلَ صدْقُهُ. وَأنَا أقُولُ: مِنْ عُقُوبَةِ الفَاسقِ المُبْتَدِعِ أنْ لا تُذْكَرَ مَحَاسنُهُ ا.هـ شرح علل الترمذي لابن رجب ١/ ٥٠ .

لَقَدْ اقْشَعَرَتْ الأَرْضُ وأَظْلَمَتْ السَّمَاءُ وَظهرَ الْفسادُ فِي الْبرِّ وَالْبَحْرِ من كَذب الكَاذبِينَ، وَذَهَبتْ البركاتُ وقَلَّت الْخيرَاتُ وتكدَّرت الْحَيَاةُ من نفَاقِ المنافقِينَ، وَبَكَى ضوءُ النَّهَارِ وظلمةُ اللَّيْلِ منْ الأَعْمَالِ الخبيثة وَالأَفْعَالِ الفَظيعَةَ وشكَا الْكرَامُ الكاتبونَ والمُعَقّبَاتُ إلَى رَبِّهم منْ كَثرَةَ الْفوَاحش وَغلبَة المُنْكَرَات والقَبَايح وَهَذَا وَالله مُنْذرٌ بسَيْل عَذَاب قَدْ انْعَقَدَ غَمَامُهُ ومُؤذنٌ بليْلِ بلاَءِ قدْ ادلَهَمَّ ظَلاَمُهُ والنَّجَاةُ فِي البُعْد عَنْ هَذَا الطَّريق ومجانبَةَ هَذَا السَّبيلِ بتَوْبَة نَصُوح مَا دَامَت التَّوْبَةُ مُمكنَةً وبابُهاَ مَفْتُوحٌ، قَبْلَ أنْ يُقالَ إنَّ الْبَابَ قدْ أغلق، والأمرَ قَدْ عُلِّق، «وَسَيَعْلَمُ الَّذينَ ظَلَمُوا أيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقلبُونَ».

وَلَئِنْ كانَتْ الحسناتُ بالصِّدقِ تَزْكُو وتَنْمو، فَإنَّها بالكذبِ تضيعُ وتذهبُ إلى الغَيْر، وإنَّ يومًا يفرُّ المرءِ من أمِّه وأبيه، ويشحُّ بحسنَاته من أهْله وذَويه، لحقيقٌ بأن يحافظَ عَلَيها ولا يدعُها نَهْبًا للمَعَاصي والسيِّئاتِ وحقوقِ العبادِ.

الكَذبُ داءٌ مِنْ أدوَى الأَدْوَاءِ، سبيلُ أصحابِهَا أسوأُ سبيلٍ، ومَقيلُ أهلها شَرُّ مَقيل.

فَاحْرصْ عَلَى الصِّدقِ حرْصَ مَنْ أفْلَتَتْ منْهُ نَاقَتُه وعَلَيْهَا طعَامُه وشَرَابُه وهُو بأرْض فلاة، وابْحَثْ عَنْهُ بَحْثَ مَنْ ضَاعَ فِي الثُّرب خَاتَمُه، فإنَّك إنْ فَعلْتَ خَرَجَ الكذبُ منَ القَلب فَلاَ يَجدُ إليهِ رجُوعًا ولا مَثَابًا.

وما أجْمَلَ قَوْل القَائلِ:

وَلا تَتَزَيَّدْ فِي حَديثٍ سمعتَهُ
بِكَذبٍ فإنَّ الكَذبَ للْمَرْءِ واضعُ
ولَمْ أرَ مثْلَ الصِّدقِ أسْنَى لأهْلهِ
إذا جَمَعتْهم والرِّجالَ المجامعُ

(تهذيب الكمال: ١٢/ ٥٢٧)

واعْلَمْ أنَّ الصِّدقَ والكذبَ ضدان كالماءِ والنار، أو كالضبِّ والحوتَ لا يجتمعان، قَالَ مَالكُ بن دينار: الصِّدْقُ وَالْكَذبُ يَعْتَركَان فِي الْقَلْبِ حَتَّى يُخْرجَ أحَدُهُمَا صَاحبَهُ (حلية الأولياء ٢/ ٣٦٠)

وقالَ ابن القيم: الصِّدْقُ بَريدُ الإيمَانِ وَدَليلُهُ وَمَرْكَبُهُ وَسَائقُهُ وَقَائدُهُ وَحلْيَتُهُ وَلبَاسُهُ، بَلْ هُوَ لُبُّهُ وَرُوحُهُ، وَالْكَذبُ: بَريدُ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ وَدَليلُهُ وَمَرْكَبُهُ وَسَائقُهُ وَقَائدُهُ وَحلْيَتُهُ وَلبَاسُهُ وَلُبُّهُ، فَمُضَادَّةُ الْكَذب للإيمَانِ كَمُضَادَّة الشِّرْكِ للتَّوْحيد، فَلاَ يَجْتَمعُ الْكَذبُ وَالإيمَانُ إلاَّ وَيَطْرُدُ أحَدُهُمَا صَاحبَهُ، وَيَسْتَقرُّ مَوْضعَهُ اهـ زاد المعاد ٣/ ٥١٧

الكَذِبُ أساسُ الفُجُور:

كَمَا قَالَ النَّبي- صلى الله عليه وسلم -: " إنَّ الْكَذب يهدي إلَى الْفُجُور وَإنَّ الْفُجُور يهدي إلَى النَّار "

والكَذَّابُ صاحبُ نفسٍ مَهينة، فَلاَ يَكْذبُ الكَاذبُ إلاَّ منْ مَهَانَة نَفْسه عَلَيْه، وكَما أن كَل عمل صَالح، ظَاهر أو بَاطنٍ منشؤهُ الصِّدْقُ، فَكَذلكَ كُلُّ عمل فَاسد ظَاهر أو بَاطن منشؤهُ الْكَذبُ، وخَطورَةَ الكذب فِي كونه يَقلب الحقائق والتصورات فيجعل الْحق بَاطلا وَالْبَاطل حَقًا وَالْخَيْر شرًّا وَالشَّر خيرًا، ويقيم الْبدَعَ مَقَام السّنَن، وَيُنزلُ النَّفسَ مقَام الْعقل، ويجعل الهوَى مقَام الرُّشد، ويضع الضلالَ موضع الْهدى، وَالْمنكرَ مقَام الْمعْرُوف، وَالْجهلَ مقَامَ الْعلم، والرياءَ مقَامَ الإخْلاَص، وَالْبَاطل مقَامَ الْحق، والمداهنة مقَام النَّصيحَة، وَالظُّلم مقَام الْعدْل، فَيُفْسدُ عَلَى العبد كلَّ فعلٍ وقولٍ فَلاَ ينْتَفع بلسَانه وَلاَ بأعْمَاله.

قَالَ ابنَ القيم: الْكَذبُ أساسُ الْفُجُور... وَأولُ مَا يسري الْكَذبُ منَ النَّفس إلَى اللّسَان فيفسدُهُ ثمَّ يسري إلَى الْجَوَارح فَيفسد عَلَيْهَا أعمَالهَا كمَا أفسد على اللّسَان أقْوَاله فَيعم الْكَذب أقْوَاله وأعماله وأحواله فيستحكم عَلَيْه الْفساد ويترامى داؤه إلَى الهلكة إن لم تُدْركهُ رحمةُ الله بدواء الصِّدْق يقْلع تلْكَ من أصْلهَا اهـ الفوائد: ص ١٣٦

وكَمْ مِن أُناسٍ تَظَاهَرُوا بالصِّدقِ وهُمْ لَيْسُوا كَذَلِكَ كَمَا قَالَ القَائِل:

أَمَّا الدِّيَارُ فإنَّها كَدِيَارِهِمْ
وَأَرَى رِجَالَ الحَيِّ غَيْرَ رِجَالِهَا

وهَؤُلاَءِ إذَا دَخَلُوا الكِيرَ وامتُحِنُوا حَقَّتْ الحقائقُ، وطاحَتْ الدقائقُ وزاغتْ الأبصارُ وطَغَتْ، فانقلبوا بحرمانِ نعمةِ الله وفضله، لأجلِ متاعٍ قَليلٍ، وكَانَ ما كانَ مِن الكذِب والافتراء، ولاَ يخفَى هذا عَلى كلِّ حاذقٍ بصيرٍ.

غراسُ الصدقِ:

لكلِّ شجرةٍ بذرةٌ تُبذَرُ، وغَرسٌ يُغرسُ، فَإذا زَكَى المنبَتُ، وطَابتْ التربةُ، ووضَعَ البذرةَ صاحبُها وتعاهَدَها بالسَّقيِ والزَّرعِ فإنها تَنبُت نباتًا حسنًا بإذنِ ربها.

ولَمَّا غرسَ كعبُ بنُ مالكٍ شجرةَ الصدقِ وسَقَاها ورَوَاهَا حتى صارتْ كالنخلِ باسقاتٍ لها طَلَعٌ نضيدٌ، وأَضحَى أَصلُهَا ثابتًا وفرعُها في السماءِ أدركَ (تَوْفيقُ اللهِ كعبًا وَصَاحبَيْه فيمَا جَاءُوا بِه منَ الصِّدْقِ، وَلَمْ يَخْذُلْهُمْ حَتَّى كَذَبُوا وَاعْتَذَرُوا بغَيْرِ الْحَقِّ، فَصَلُحَتْ عَاجلَتُهُمْ وَفَسَدَتْ عَاقبَتُهُمْ كُلَّ الْفَسَاد، وَالصَّادقُونَ تَعبُوا في الْعَاجلَة بَعْضَ التَّعَب فَأَعْقَبَهُمْ صَلاَحَ الْعَاقبَة وَالْفَلاَحَ كُلَّ الْفَلاَح، وَعَلَى هَذَا قَامَت الدُّنْيَا وَالآخرَةُ، فَمَرَارَاتُ الْمَبَادي حَلاَوَاتٌ في الْعَوَاقب، وَحَلاَوَاتُ الْمَبَادي مَرَارَاتٌ في الْعَوَاقب) اهـ زاد المعاد ٣/٥٠٥.

وقد شهد النَّبيُّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ - لكعب بقوله: (أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ) رواه البخاري.

> قَسَّمَ سُبْحَانَهُ الخَلْقَ إلى قسمين: سُعداء، وأشقياء، فجعل السُّعداء هُمْ أهلَ الصِّدقِ والتَّصديقِ، والأشقياء هُمْ أهلَ الكذبِ والتَّكذيبِ.

قالَ ابنُ القيم- في فوائد قصة تخلف كعبِ بنِ مالكٍ عنَ غزوةِ تبوكَ-:

وَمنْهَا: عظَمُ مقْدَار الصِّدْق، وَتَعْليقُ سَعَادَة الدُّنْيَا وَالآخرَة، وَالنَّجَاة منْ شَرِّهمَا به، فَمَا أَنْجَى اللهُ مَنْ أَنْجَاهُ إلاَّ بالصِّدْق، وَلاَ أَهْلَكَ مَنْ أَهْلَكَهُ إلاَّ بالْكَذب، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ عبَادَهُ الْمُؤْمنينَ أَنْ يَكُونُوا مَعَ الصَّادقينَ، فَقَالَ: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ » (التوبة: ١١٩).

وَقَدْ قَسَّمَ سُبْحَانَهُ الْخَلْقَ إلَى قسْمَيْن: سُعَدَاءَ، وَأَشْقيَاءَ، فَجَعَلَ السُّعَدَاءَ هُمْ أَهْلَ الصِّدْق وَالتَّصْديق، وَالأَشْقيَاءَ هُمْ أَهْلَ الْكَذب وَالتَّكْذيب، وَهُوَ تَقْسيمٌ حَاصرٌ مُطَّردٌ مُنْعَكسٌ. فَالسَّعَادَةُ دَائرَةٌ مَعَ الصِّدْق وَالتَّصْديق، وَالشَّقَاوَةُ دَائرَةٌ مَعَ الْكَذب وَالتَّكْذيب اهـ زاد المعاد ٣/٥١٦ - ٥١٧.

وقَدْ وَصَفَ مَالكُ بنُ دينَارٍ ناشئَةَ الصِّدْقِ وَصْفًا دَقيقًا فقَالَ:

" إنَّ الصِّدْقَ يَبْدُو في الْقَلْب ضَعيفًا كَمَا يَبْدُو نَبَاتُ النَّخْلَة يَبْدُو غُصْنًا وَاحدًا فَإذَا نَتَفَهَا صَبيٌّ ذَهَبَ أَصْلُهَا وَإنْ أَكَلَتْهَا عَنْزٌ ذَهَبَ أَصْلُهَا فَتُسْقَى فَتَنْتَشرُ وَتُسْقَى فَتَنْتَشرُ حَتَّى يَكُونَ لَهَا أَصْلٌ أصيلٌ يُوطَأُ وَظلٌّ يُسْتَظَلُّ به وَثَمَرَةٌ يُؤْكَلُ منْهَا، كَذَلكَ الصِّدْقُ يَبْدُو في الْقَلْب ضَعيفًا فَيَتَفَقَّدُهُ صَاحبُهُ وَيَزيدُهُ اللهُ تَعَالَى وَيَتَفَقَّدُهُ صَاحبُهُ فَيَزيدُهُ اللهُ حَتَّى يَجْعَلَهُ اللهُ بَرَكَةً عَلَى نَفْسه وَيَكُونَ كَلاَمُهُ دَوَاءً للْخَاطئينَ " حلية الأولياء ٢/٣٩٥.

وقَالَ أيضًا: " أَتَدْرُونَ كَيْفَ يَنْبُتُ الْبرُّ؟ كَرَجُل غَرَزَ عُودًا فَإنْ مَرَّ صَبيٌّ فَنَتَفَهَا ذَهَبَ أَصْلُهَا وَإنْ مَرَّتْ به شَاةٌ أَكَلَتْهَا ذَهَبَ أَصْلُهَا وَيُوشَكُ إنْ سُقيَ وَتُعُوهدَ أَنْ يَكُونَ لَهُ ظلٌّ يُسْتَظَلُّ به وَثَمَرَةٌ يُؤْكَلُ منْهَا " (حلية الأولياء ٢/٣٦٢).

وإذا تربى البيت على الصدق صار موروثًا لهم، قَال عَبْد الرحمن بْن مهدي: كان أَبُو جعفر (عُمَير بن يزيد بْن عُمَير) وأبوه وجده قومًا يتوارثون الصدقَ بعضهم عَنْ بعض (تهذيب الكمال: ٢٢/٣٩٣).

جزاء الصدق:

اعلمْ – رحمني الله وإياكَ – أنَّه لا أنفعَ من الصدقِ، ومن أجمل ما في الصدق أنه ينفعُ صاحبَه في الدنيَا والآخرة فينالُ به العبدُ منْ أَنْوَاعِ المَسَرَّاتِ وَحَلاَوَةِ

الرِّضَا وَخلَع الْقَبُول ما كُتبَ له، وما منْ خيرٍ تَلْقَاهُ وشَرٍّ تُوقَاهُ إلا وسَببُه الصدق.

قَالَ تَعَالَى: " هَـذَا يَـوْمُ يَنْفَعُ الصَّـادقـين صدقهم "، وَقَـال أيضًا: " فَـإِذَا عَـزَمَ الأَمْـرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّه لَكَانَ خَيْراً لَهُم "

ومن جزاء الصدق أمورٌ:

الأول: صدْقُ الله عبدَه:

يُفصحُ عن هذَا موقفٌ لصحَابيٍّ لا يَـكَـادُ يُـعـرفُ اسـمُـهُ، لكنَّه كُـتـبَ بشهادة نبوية وتزكية مـصـطـفـويَّـة مـنِ الـصـادقـينَ، فهنيئًا لَـهُ أن لاَّ يعرفه أهلُ الأرض، وحسبُه أن يَعرفَه أهل السَّمَاء.

عن شدَّاد بن الهاد: " أنَّ رجلاً من الأعـراب، جـاءَ إلـى النبي صلى الله عليه وسلم فآمنَ به واتَّبعَه، ثم قـال: أهاجرُ معَكَ، فأوصَى به النبيُّ صلى الله عليه وسلم بعضَ أصحابه، فلمَّا كانتْ غزوةُ خيبر غَنمَ النَبيُّ صلى الله عليه وسلمَ فيها شيئًا، فقَسَمَ، وقَسَمَ له، فأعطَى أصحابَه ما قَسَمَ له، وكان يَرْعَى ظهرَهم، فلما جاءَهم دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قال: قسمته لك، قال: ما على هذا تبعتك، ولكن اتبعتك على أن أرمى إلى ههنا- وأشار إلى حلقه- بسهم فأموت، فأدخل الجنة، فقال: إن تصدق الله يصدقك، فلبثوا قليلا، ثم نهضوا في قتال العدو، فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم يحمل، قد أصابه سهمٌ حيث أشارَ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم أهُوَ هُوَ؟ قالوا: نعم، قال: صَدَقَ الله فصدقَهُ، ثُمَّ كفَّنَه النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم في جُبَّة النبيِّ صلى الله عليه وسلم، ثم قدَّمَه فَصَلَّى عليه، فكان فيمَا ظهرَ من صلاته: اللهمَّ هذا عبدُك، خَرَجَ مهاجرًا في سبيلك، فقُتلَ شهيدًا، أنا شَهيدٌ على ذَلكَ ".

> ومن أجمل ما في الصدق أنه ينفعُ صاحبَه في الدنيا والآخرة فينالُ به العبدُ من أنواع المسرات وحلاوةِ الرِّضا وخلعِ القبولِ ما كُتبَ له.

أخرجهَ النسائي بإسناد صحيح (١/٢٧٧)، وانظر أحكامَ الجنائز ص: ٦٣.

الثاني: التوفيق لخيري الدنيا والآخرة:

من أخذ بناصية الصدق وقَادهُ في الحلِّ والتِّرحَال، وأمسك بزمامه وسَاقَهُ في رفقٍ وجمَالٍ، كان إمامًا همامًا لاَ يُدافَعَ، وفاضلاً مُناضلاً لا يُنازَعُ، وذلك لتوفيقِ الله لَه إلى كل خيرٍ.

قَال ابن القيم: والله يُثيب الصَّادقَ بأن يوفقه للْقيَام بمصالح دُنْيَاهُ وآخرته فَمَا استجلبت مصَالح الدُّنْيَا وَالآخرَة بمثل الصدْق اهـ الفوائد: ص ١٣٦.

وقَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَاصم الأَنْطَاكيُّ: " أَنْفَعُ الصِّدْقِ مَا نَفَى عَنْكَ الْكَذب في مَوَاطن الصِّدْقية (الحليَة: ٩/٢٨٣).

الثالث: مَنْحُ العبد قَدَمَ الصِّدْق، وَمَقْعَدَ الصِّدْقِ في الآخرة إذا كانَ الصدقُ يُكسبُ صاحبَه في الدنيا هيئةً بهيةً وحلةً زهيةً، فإنه ينزلُ أهلَه في الدار الباقية المنازل الشريفة والمقاعد والرتب المنيفة.

قَال ابنَ القيم: وجزاهم أي الصادقينَ بما صَدَقوا أمرين: قَدَمَ الصِّدْق، وَمَقْعَدَ الصِّدْق فقَالَ تعَالَى «وَبَشِّر الَّذينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صدْقٍ عنْدَ رَبِّهِمْ» (يونس: ٢) وَقَالَ أيضًا: «إنَّ الْمُتقينَ في جَنَّات وَنَهَر- في مَقْعَد صدْق عنْدَ مَليكٍ مُقْتَدرٍ» (القمر: ٥٤- ٥٥).

أمَّا قَدَمُ الصِّدْق: فَفُسِّرَ بِالْجَنَّة، وَفُسِّرَ بِمُحَمَّد صَلَّى اللَّهَ عَلَيْه وَسَلَّمَ، وَفُسِّرَ بالأَعْمَال الصَّالحَة، وَحَقيقَةُ الْقَدَم مَا قَدَّمُوهُ، وَمَا يُقْدمُونَ عَلَيْه يَوْمَ الْقيَامَة، وَهُمْ قَدَّمُوا الأَعْمَالَ وَالإيمَانَ بمُحَمَّد صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ، وَيَقْدَمُونَ عَلَى الْجَنَّة الَّتي هيَ جَزَاءُ ذَلكَ.

فَمَنْ فَسَّرَهُ بهَا أَرَادَ: مَا يَقْدَمُونَ عَلَيْه، وَمَنْ فَسَّرَهُ بالأَعْمَال وَبالنَّبيِّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: فَلأَنَّهُمْ قَدَّمُوهَا، وَقَدَّمُوا الإيمَانَ به بَيْنَ أَيْديهمْ، فَالثَّلاثَةُ قَدَمُ صدْق.

وَأَمَّا مَقْعَدُ الصِّدْق: فَهُوَ الْجَنَّةُ عنْدَ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وَوَصْفُ ذَلكَ كله بالصِّدْق مُسْتَلْزمٌ ثُبُوتَهُ وَاسْتقْرَارَهُ، وَأَنَّهُ حَقٌّ، وَدَوَامَهُ وَنَفْعَهُ، وَكَمَالَ عَائدَته. فَإنَّهُ مُتَّصلٌ بالْحَقّ سُبْحَانَهُ، كَائنٌ به وَلَهُ، فَهُوَ صدْقٌ غَيْرُ كَذب، وَحَقٌّ غَيْرُ بَاطل، وَدَائمٌ غَيْرُ زَائل، وَنَافعٌ غَيْرُ ضَارٍّ، وَمَا للْبَاطل وَمُتَعَلَّقَاته إلَيْه سَبيلٌ وَلاَ مَدْخَلٌ اهـ مدارج السالكين ٢/٢٦٠ – ٢٦١

وللحديث بقية إن شاء الله.

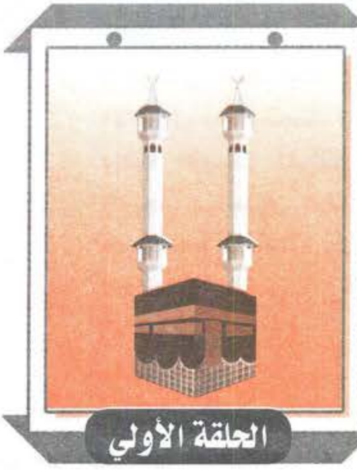

تذكير المسلمين بأهمية قضاء الدَّيْن

إعداد/ المستشار: أحمد السيد علي إبراهيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

فلقد تواترت نصوص الكتاب والسنة واجماع الأمة سلفاً وخلفاً على فضل القرض وثوابه للمقرض، بل إن القرض في الشريعة الإسلامية من أبرز مبادئها، وأظهر معالمها الدالة على سعيها للتيسير والتسهيل على المسلمين، قال تعالى: «مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ» (البقرة: ٢٤٥).

كما أنَّ هذا الدِّين العظيم جاء بالحثِّ على التكافل بين أفراده، والحضِّ على التعاون بينهم، ومن صور هذا التكافل والتعاون، مشروعيَّة القرض، فأباح للمحتاج أن يستدين عند حاجته، قال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ» (البقرة: ٢٨٢)، وجعل الإسلام إقراض الآخرين قربةً يتقرَّب بها العبد لربه تعالى، ففي الحديث: «ما من مسلم يُقرض مسلمًا قرضًا مرَّتَيْن إلا كان كَصدقتها مرَّة» (رواه ابن ماجه وصحَّحه الألباني).

استدانة في غير محلها:

هذا، وإن كانت الاستدانة للمقترض تأخذ الأحكام الشرعية الخمسة، فإن نذكر صورة اعتاد عليها الناس غير مستحبة، وقد تصل إلى التحريم، فمن الناس من يستدين لأمور تافهة، ليس لها أصل ولا محل من النظر، فتجده يستدين، ويوهن كاهله بالدين، ويرهق نفسه، ويريق ماء وجهه، من أجل غرض دنيوي زائد عن حاجته، أو أمر كمالي ليس له داع، كمن يستدين لشراء أثاث منزلي مع أن لديه أثاثًا جديدًا جيدًا، ولكن من باب المفاخرة والمجاراة، أو يشتري سيارة فارهة فاخرة باهظة الثمن، ولديه غيرها تقضي له متطلباته وحاجياته، فهذه الأمور وغيرها لا تستدعي أبداً أن يستدين الإنسان، فربما استدان ومات فيحبس عن دخول الجنة، ويأتيه شعور الغم والهم في قبره، والوحدة والوحشة، والعذاب،

فلا يجد إلا ألم الدين.

وكثير من المدينين غافلون عن خطورة عدم قضائهم لديونهم في الدنيا والآخرة، فأحببت أن أنبه هؤلاء إلى أهمية قضاء ديونهم من خلال الوقفات الآتية:

الوقفة الأولى:

معنى الدين في اللغة والاصطلاح:

١-معنى الدين في اللغة:

قال ابن منظور - رحمه الله - في لسان العرب: «الدَّين: واحد الديون، معروف. وكل شيء غير حاضر دَينٌ، والجمع أدْيُن مثل أعْيُن، ودُيونٌ ؛.... ودَنْتُ الرجل: أقرضته مَدِينٌ ومَدْيون.

٢-معنى الدين في الاصطلاح:

قال ابن نجيم رحمه الله في فتح الغفار شرح المنار: «الدين لزوم حق في الذمة» فيشمل الحقوق المالية والحقوق غير المالية كصلاة فائتة وزكاة وصيام وغير ذلك، كما يشمل ما ثبت بسبب قرض أو بيع أو إجارة أو إتلاف أو جناية أو غير ذلك.

وطلب القرض ليس من المسألة المذمومة:

الوقفة الثانية:

كتابة الدين والإشهاد عليه:

الإشهاد على الدين أمر رباني قرآني، فيه حفظ للأموال من التلف أو الضياع، أو أن تكون طي النسيان، وقد أمر الله عباده بذلك فقال سبحانه: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُ»... آية الدين (البقرة ٢٨٢).

وقال تعالى: (واستشهدوا شهيدين من رجالكم) أمر بالإشهاد مع الكتابة لزيادة التوثقة، (فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان) وهذا إنما يكون في الأموال وما يقصد به المال، وإنما أقيمت المرأتان مقام الرجل لنقصان عقل المرأة، كما جاء بالآية: «أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى».

> ”خطر الدين يظهر على من يستدين لأشياء لاداعي لها لا هي من الضروريات ولا الحاجيات، بل من الكماليات التي يمكن أن يستغني عنها.“

اشتراط العدالة في الشهود

هذا، وقد استدل العلماء من قوله: (ممن ترضون من الشهداء) أنه دلالة على اشتراط العدالة في الشهود، وهذا مقيد، حكم به الشافعي على كل مطلق في القرآن، من الأمر بالإشهاد من غير اشتراط. وقد استدل من رد المستور بهذه الآية الدالة على أن يكون الشاهد عدلا مرضيا.

الوقفة الثالثة: الترغيب في قضاء الديون:

رغَّب الشرع في حسن القضاء، فهم

١- من خيار الناس في الدنيا:

عن أسلم القبطي أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ استسلفَ من رجلٍ بَكرًا. فقدِمتْ عليه إبلٌ من إبلِ الصدقة. فأمر أبا رافعٍ أن يَقضيَ الرجلُ بكره. فرجع إليه أبو رافع فقال: لم أجد فيها إلا خيارًا رباعيًا. فقال: أعطه إياهُ. إنَّ خيارَ الناسِ أحسنُهم قضاءً» (رواه مسلم).

والبَكر- بفتح الباء-: هو الصغير، من الإبل والخيار الرباعي هو ما استكمل ست سنين.

وفي هذا الحديث: جواز الاقتراض والاستدانة، وإنما اقترض النبي صلى

الله عليه وسلم للحاجة، وكان صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله من المغرم، وهو الدين.

٢- خيار عباد الله يوم القيامة:

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله: «رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى» (رواه البخاري).

وعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من فارقَ الرُّوحُ الجسدَ وَهوَ بريءٌ من ثلاثٍ، دخلَ الجنَّةَ: منَ الْكبرِ، والغُلولِ، والدَّينِ» (رواه ابن ماجه وصححه الألباني).

الوقفة الرابعة : الترهيب من الاقتراض

ومن عدم قضاء الدين:

ومع جواز الاقتراض، إلا أن الشرع قد رهب منه، ومن عدم قضائه بذكر بعض مثالبه ومنها:

١- الدين خوف للنفس بعد أمنها:

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تُخيفوا أنفسَكم بعد أمْنِها. قالوا: وما ذاك يا رسولَ الله؟ قال: الدَّيْنُ.» (أورده المنذري في الترغيب والترهيب وصححه الألباني).

٢- الدّين يدعو إلى الكذب وخلف الوعد:

عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ كان يدعو في الصلاةِ «اللهمَّ! إني أعوذُ بك من عذابِ القبرِ. وأعوذُ بك من فتنةِ المسيحِ الدَّجَّالِ. وأعوذُ بك من فتنةِ المحيا والممات. وأعوذُ بك من المأثم والمغرمِ، قالت: فقال له قائلٌ: ما أكثرَ ما تستعيذُ من المغرم يا رسولَ الله! فقال « إنَّ الرجلَ إذا غرم، حدَّث فكذَب. ووعد فأخلَفَ» (رواه مسلم).

> طلب القرض ليس من السؤال المذموم ، وقد اقترض النبي صلى الله عليه وسلم للحاجة لكنه في الوقت نفسه يستعيذ بالله من المغرم وهو الدين .

٣- عدم صلاته على المدين:

في بداية عصر الإسلام، كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يُصلي على من مات وعليه دينٌ، جزاءً لتهاونه، وحفظاً لمال غيره، فعَنْ أبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم: «كَانَ يُؤْتَى بالرَّجُلِ المَيِّتِ عَلَيْه الدَّيْنُ، فَيَسْألُ: هَلْ تَرَكَ لدَيْنِه منْ قَضَاءٍ؟« فَإنْ حُدِّثَ أَنَّهُ تَرَكَ وَفَاءً صَلَّى عَلَيْه، وَإلاَّ قَالَ: صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ، فَلَمَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ الْفُتُوحَ قَالَ: أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنينَ منْ أَنْفُسِهِمْ، فَمَنْ تُوُفِّيَ وَعَلَيْه دَيْنٌ فَعَلَيَّ قَضَاؤُهُ، وَمَنْ تَرَكَ مَالاً فَهُوَ لِوَرَثَتِهِ» (متفق عليه).

٤- تعذيبه في قبره وحبسه عن دخول الجنة:

عن جابر رضي الله عنه قال: «تُوُفِّيَ رجلٌ فغسَّلْناه وحنَّطناه وكفنَّاه ثم أتينا به رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ يُصلِّي عليه فقلنا تُصلِّي عليه، فخطا خُطًى ثم قال أعليه دَينٌ قلنا ديناران فانصرف فتحمَّلها أبو قَتادةَ فأتيناه فقال أبو قَتادةَ الدِيناران عليَّ فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ أُحِقَّ الغريمُ وبرِئَ منهما الميِّتُ قال نعم

فصلى عليه ثم قال بعد ذلك بيومٍ ما فعل الديناران، فقال إنما مات أمسِ فقال فعاد إليه من الغدِ فقال قد قضيتُهما فقال رسولُ الله صلَّى الله عليهِ وسلَّمَ الآنَ برَدَتْ جلدتُه» وفى رواية: الآنَ بَرَّدَتْ عَلَيْهِ جِلْدَهُ » (أخرجه أحمد وحسنه الألباني).

> من مات وعليه دين، فإن نفسه تبقى معلقة بدينه، ويشعر بالعذاب الجسدي والنفسي حتى يؤدى عنه دينه.

فهذا الحديث يدل على أن من مات وعليه دين، فإن نفسه تبقى معلقة بدينه، ويشعر بالعذاب الجسدي والنفسي حتى يؤدى عنه دينه، فيبقى في هذا العذاب حتى يُقضى عنه دينه.

فعلى المسلم أن يبادر إلى قضاء دينه في الدنيا، وعلى ورثته المسارعة إلى ذلك حتى لا يحبس عن دخول الجنة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نفس المؤمن معلقة، ما كان عليه دين» (أخرجه الترمذي وصححه الألباني).

ومع ما للشهيد من خصال حميدة، ذكرها المِقْدَام بنِ مَعْدِ يكَرِبَ، عن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال: «للشَّهيد عندَ الله ستُّ خصالٍ: يُغفَرُ له في أوَّلِ دَفعةٍ، ويَرى مقعدَه منَ الجنَّة، ويُجارُ من عذابِ القبرِ، ويأمنُ منَ الفزَعِ الأكبرِ، ويُوضعُ على رأسِه تاجُ الوقارِ الياقوتةُ منها خيرٌ منَ الدُّنيا وما فيها، ويزوَّجُ اثنتَينِ وسبعينَ زَوجةً منَ الحورِ العينِ، ويُشفَّعُ في سبعينَ من أقاربِه» (رواه الترمذي وصححه الألباني).

ويغفر له بشهادته كل ذنب، إلا أنه سيسأل عن الدين، فعَنْ عَبْدِالله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاص رضِي اللَّه عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يُغْفَرُ للشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ، إلاَّ الدَّيْنَ» (أخرجه مسلم).

٥- عدم تكفير ذنوب المدين: ولعظم دين المؤمن، وكثرة آثاره السيئة، نظر الإسلام لذلك نظرة عظيمة، حتى استثناه الله عز وجل من قاعدة المكفرات، وأصولِ الماحيات، عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضيَ اللَّهِ عَنْهُ قَالَ: «خطبنا رسولُ اللَّهِ صلَّى الله عليْهِ وسلَّم، فقال: هاهنا أَحَدٌ، من بني فلانٍ؟ فلم يجبْهُ أحدٌ، ثمَّ قال: هاهنا أحدٌ من بني فلانٍ؟ فلم يجبْهُ أحدُ، ثمَّ قال: هاهنا أحدٌ من بني فلانٍ؟ فقامَ رجلٌ، فقال: أنا يا رسولَ الله، فقالَ صلَّى الله عليْهِ وسلَّم: ما منعَكَ أن تُجيبَني في المرَّتينِ الأولَيين؟ إنِّي لم أنوِّه بكم إلَّا خيرًا، إنَّ صاحبَكُم مأسورٌ بدَينه، فلقد رأيتُهُ أدَّى عنْهُ حتَّى ما بقيَ أحدٌ يطلبُهُ بشيءٍ» (أخرجه أبو داود، والنسائي، والحاكم إلا أنه قال: «إنَّ صَاحِبَكُمْ حُبِسَ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ بدَيْنٍ كَانَ عَلَيْه».

زَادَ فِي رِوَايَةٍ: «فَإِنْ شِئْتُمْ فَافْدُوهُ، وَإِنْ شِئْتُمْ فَأَسْلِمُوهُ إِلَى عَذَابِ اللَّه، فَقَالَ رَجُلٌ: عَلَيَّ دَيْنُهُ، فَقَضَاهُ» (قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين وصححه الألباني رحمه الله تعالى). وزاد الإمام أحمد: قال: «لقد رأيت أهله ومن يتحزن له قضوا عنه حتى ما جاء أحد يطلبه بشيء».

وللحديث بقية إن شاء الله

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م

ومن أهدافها

١ الدعوة إلى التوحيد الخالص المطهر من جميع الشوائب، وإلى حب الله تعالى حبًّا صحيحًا صادقًا ، يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسوله صلى الله عليه وسلم حبًّا صحيحًا صادقًا ، يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

◆ ◆ ◆ ◆

٢ الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين : القرآن والسنة الصحيحة، ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

◆ ◆ ◆ ◆

٣ الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدةً وعملاً وخُلُقًا.

◆ ◆ ◆ ◆

٤ الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله ، فكل مشرِّع غيره - فيما لم يأذن به الله تعالى - معتد عليه سبحانه، منازِع إياه في حقوقه.

الآن

المجلد الجديد بمقر مجلة التوحيد

١٤٣٥
التوحيد
١٤٣٥
جمال سعد حاتم

موسوعة علمية
لاتخلو منها مكتبة
ويحتاج اليها
كل بيت

سارع بحجز
نسختك من
المجلد الجديد

الآن أصبحت ٤٣ مجلداً من الموسوعة

- الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم ، أربعون عاماً من مجلة التوحيد .
- أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية .
- استلم الموسوعة ببلاش بدون مُقَدَّم ؛ فقط ادفع ١٠٠ جنيهاً بعد الاستلام على ثمانية أشهر .
- من يرغب في اقتنائها فعليه التقدم بطلب للحصول عليها من إدارة الدعوة بالفرع التابع له
أو من خلال قسم الاشتراكات بمجلة التوحيد بطلب مُزَكّى من الفرع .

التوحيد
أوسع المجلات الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٣ مجلد

☎ 23936517